الاتساق الصوتي في مطالع سور القرآن في ضوء الدرس الصوتي الحديث

د/أحمد عبد الله نصير*

توطئة:

من الأمور المُسَلَّمَة التي وَقَرَتْ في الآذان والقلوب أنَّ القرآن كلامٌ إلهيٌّ مُعْجِز، مُتَنَزَّلٌ على قلب النبيِّ الأُمِّيّ، برهانا على صِدْقِ رسالته، ما أظن إنسانا مسلما لا يعرف أنَّ القرآنَ أَعْجَزَ العربَ، فلم يستطيعوا الإتيان بمثله، لكنَّ المنكورَ لدى الكثيرين تحديدُ موضع إعجازه وتَحَسُّسِه، تلك هي القضية التي مازال العلماء في كل مجال يجتهدون في تناولها، للكشف عن وجوه إعجاز القرآن، ففي مجال اللغة حصر علماء العربية القدماء الإعجاز اللغوي للقرآن في طُرُق نظمه ووجوه تركيبه، ونسق حروفه في كلماتها، وكلماته في جملها، لكنْ لم يزل أمر إعجازه اللغوي في حاجة إلى مزيد من الإيضاح والتفصيل، خصوصا في عصرنا – عصر العلم واكتشاف اللغة - مما يستدعي تحليل بنية القرآن في ضوء معطيات الدرس اللغوي الحديث، لاسيما عند المستوى الصوتي؛ لأن القرآن كلامٌ منطوقٌ ذو بِنْيَةٍ صوتية خاصة، يتوجه بها إلى كيان الإنسان وكل جوانبه، لا يُرَكِّز على جانب ويَدَع الآخر، بل يأتي على هذا وذاك بما يناسب المقام ويقتضيه الحال، يخاطب عقول مستمعيه، ويغزو قلوبهم وعواطفهم في آنٍ واحد، وما أسلم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على شدّته وعنفه إلا حين لمس القرآنُ شِغافَ قلبِه فَرَقّ ولان، ولمّا تحدى النبيُّ – صلى الله عليه وسلم- العربَ بالقرآن وحاولوا معارضته ظهر عَجْزُهم؛ بسبب وقوفهم عند الجانب الشكلي منه، وإغفالهم الجانب الدلالي المنبثِق عن نَظْمِه، والأثر النفسي المترتِّب على سماعه، فجاءت محاولتهم محصورة في محاكاة ألفاظه وشكل عباراته، دون الوصول إلى سر تأثيره في القلوب والأرواح، لأنه أمرٌ فوق طاقة البشر جميعا.

* جامعة قناة السويس

ولئن كان أسلوب القرآن بِبِنْيَتِهِ الصوتية الفريدة قد تميَّز بمخاطبة العقول وغزو القلوب والتأثير في النفوس، فإن مطالع سُوَره قد بلغت الغاية في تلك المزية، فما من أحد يسمع آيات مطلع سورة من القرآن أو يقرأ بضعا منها إلا تحركت لاتِّساق أصواتها مشاعرُهُ، وتجاوبت مع حُسْنِ أدائها عواطفُهُ، ولم يكن له بدٌّ من التوفر على الإصغاء إلى القرآن إن كان سامعا، أو الاسترسال فيه إن كان قارئا، وسور طه والسجدة وفصلت والنجم والضحى من السور ذات المطالعِ المتَّسقةِ الأصوات، استرعى سمعي إيقاع مطالعها، ولفت نظري اتفاق مطالعها مضمونا وتقاربها شكلا(١)، فَرُحْتُ أنظر إليها بعين الدرس اللغوي الحديث؛ للإفادة من معطياته في رؤية طبيعة الصوت داخل البناء القرآني وما يُشَكِّله من قيمة جمالية وما يترتب عليه من أثر، ورأيتُ أنْ أتناولَ بالبحث بِنْيَةَ تلك المطالع بكل جزئياتها وعناصرها التي تؤدي وظيفة على المستوى الصوتي، حتى تتضح كل ما في عناصر المطالع من مظاهر الجمال ومقومات الإعجاز، فنرى إعجاز القرآن في الصوت اللغوي بالعين المجردة، ونتحسَّسُه باليد، ونتمكن من فضِّ مغاليق سرِّ جماله الذي أثَّر في نفوس كثير من الناس قديما فأسلموا، ومازال يؤثِّر، وسيظل يؤثِّر فيمن يستمع إليه حتى قيام الساعة.

ويدور البحث حول أربع نقاط:

١- قيمة الصامت والصائت فى اللغة العربية، وأثر التآلفات الصوتية بين الصوامت والحركات فى الإيقاع الصوتى.

٢- دور فواصل آيات المطالع في الإيقاع الصوتي.

٣- النسيج المقطعي لِبِنْيَة المطالع ودوره في الجمال الصوتي.

٤- الإيقاع المقطعي المترتب على نَبْر المقاطع الصوتية، والإيقاع التركيبي المترتب على الوقف على رءوس الآيات القصيرة في بنية المطالع، وإليك مضمون البحث:

الأولى : الصوامت والصوائت العربية وأثر التآلفات بين الصوامت والحركات في الإيقاع الصوتي.

قيمة الصامت والصائت عند المحدثين.

يتكوَّن نظام اللغة من وحدات صوتية تسمى فونيمات **phonemes** ، لكل وحدة أو فونيم ملمح صوتي أو سمة نطقية تميزه عن غيره، وتمثل قيمة صوتية خاصة به، تؤهله للقيام بدور وظيفي محدد، وتظهر الفونيمات التي تكوّن نظام اللغة في تقابلات ثنائية صوتية، مثل: الصوت الصامت مقابل الصوت الصائت، والصوت المجهور مقابل الصوت المهموس، والصوت الشديد مقابل الصوت الرخو، والصوت المفخم مقابل الصوت المرقق، و ..... إلخ، وتمثل مجموعة الصوامت **consonants** ومجموعة الصوائت **vowels** أهم هذه الثنائيات الفونولوجية التي تقوم عليها بنية النظام الصوتي للغة، بسبب دورها البنائي والوظيفي(٢)، " وقد ميز المهتمون بالتحليل اللغوي بين هاتين المجموعتين من الأصوات على أساس السمة النطقية لكل منهما، التى تتمثل فى كيفية مرور الهواء الصادر من الرئتين عبر الحلق والفم، والذى نجده فى حالة نطق الأصوات الصائتة يتخذ مجراه دون اعتراض، بينما نرى الهواء فى حالة النطق بالأصوات الصامتة يقابل بنقط اعتراض مختلفة، كما أنه قد يضيق مجراه كما يحدث فى الرخو من الأصوات الصامتة أو قد يحبس حبسا محكما لا يسمح له بالمرور إلا بعد فترة كما يحدث فى الشديد من الأصوات الصامتة، وقد لاحظ المهتمون بالتحليل اللغوى أن الأصوات الصامتة أقل وضوحا فى السمع من الأصوات الصائتة، فبينما تسمع الثانية من مسافة بعيدة، نجد الأولى تخفى على أذن السامع وربما قد يخطئ فى تمييزها، وبناء على ذلك نجد أن صوت الفتحة فى العربية يسمع بوضوح من مسافة أبعد كثيرا مما يسمع صوت الفاء مثلا، وكما تتميز الصوائت بالوضوح السمعى عن الصوامت لاحظ المهتمون بالتحليل اللغوى أيضا أن الأصوات الصائتة تختلف أيضا فى نسبة الوضوح السمعى، فالفتحة أوضح من الضمة والكسرة، والكسرة أوضح من الضمة، كما لاحظوا أيضا أن بعض الأصوات الصامتة تعتبر أكثر وضوحا من غيرها، هذه الصوامت هى: اللام والميم والنون، ولهذا قد سميت بأشباه الصوائت **semi-vowels**(٣)".

قيمة الصامت والصائت عند القدماء.

أكَّد الدرس اللغوي الحديث أن النظام الصوتي للغة العربية - ولأية لغة - يعتمد على الصوامت في المقام الأول في تكوين بنية الكلمات وتحديد دلالتها، وتشارك الصوائت العربية قسيمتها الصوامت في تحديد دلالات الكلمات من خلال توزُّعها داخل بنية الكلمة(٤)، ولم يكن الدرس اللغوي العربي القديم في غفلة من هذا، بل يُعَدُّ الخليل بن أحمد الفراهيدي أول لغوى عربى عرف حقيقة الصوت اللغوى(الصامت والصائت) ووضعه موضع تطبيق فى دراسته اللغوية التى تضمنها كتابه (العين)، حيث جعل الصوت اللغوى أساس اللغة، وأعاد النظر فى الترتيب القديم للأصوات الذى لم يكن مبنيا على أساس لغوى، ورتب الأصوات حسب المخارج، كما تعد المقدمة الصوتية التي صدَّر بها كتابه (العين) أول دراسة صوتية منظمة فى تاريخ الفكر اللغوى العربي تصل إلينا، ولئن كان ظاهر حديثه في كتاب (العين) يدور حول خصائص الحروف وصفاتها، فإن ذلك لا يقلل من قيمة عمله؛ لأنه كان يطلق الحرف ويريد الصوت(٥).

دور الصوائت العربية في الإيقاع الصوتي:

يقسِّم اللغويون المحدثون الأصوات الكلامية على أساس من نوع النطق قسمين، الأول: الأصوات الصائتة، وتسمى الأصوات المتحركة، أو أصوات العلة، والصوت الصائت هو الصوت المجهور الذى يحدث فى تكوينه أن يندفع الهواء فى مجرى مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الأنف معهما أحيانا، دون أن يكون هناك أى عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضا تاما أو تضييق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا، والقسم الثانى: الأصوات الصامتة، وتسمى الأصوات الساكنة، والصوت الصامت هو كل صوت لا يصدق عليه تعريف الصوت الصائت، أي هو الصوت الذي يحدث عند النطق به انسداد جزئي أو كلي يعترض تيار الهواء الخارج من الرئتين أو يعمل على إعاقته(٦)،

والصوائت – بنوعيها(٧)- أكثر شيوعا فى العربية من الصوامت لسببين، أولهما: سهولة عملية نطق الصائت، حيث يخرج من غير كلفة، لعدم احتياجه إلى حبس تيار الهواء الخارج من الرئتين أو إعاقته، وثانيهما: اتساع مخرجه، حيث لا يحكمه مكان نطق محدد، والمخرج إذا اتسع انتشر الصوت فيه ولان وقَبِلَ الزيادة بالتطويل أو التوسط، أما إذا ضاق إنضغط فيه الصوت وصعب.

ولئن كان النظام الصوتي للغة العربية يعتمد على الصوامت في المقام الأول في تكوين بنية الكلمات وتحديد دلالتها، فإن الصوائت تشارك بدورها الوظيفي البنائي في إظهار التباين الدلالي بين الكلمات، وتشارك أيضا بدورها الوظيفي الفني في تشكيل الإيقاع الصوتي للغة العربية أو الإسهام فيه بشكل كبير، ذلك دورٌ لا يقل أهميةً عن دور الصوامت الجوهري في بناء كلمات اللغة، ولعل سهولة إنتاج الصوائت العربية، وقوة إسماعها، وليونتها التي تسمح بتطويلها، هي المزايا التي مكَّنتها من أداء وظائف متعددة(٨).

دور الصوائت العربية القصيرة في اللغة

للصوائت العربية القصيرة – دوران مهمان في اللغة، تنفرد بهما دون الصوامت والحركات الطويلة، أولهما: تمكين المتكلم من النطق بالصامت، وثانيهما: تمكين الناطق من الانتقال من مخرج صامت إلى مخرج صامت آخر(٩)، هذا على مستوى الكلمة المنفردة، أما على مستوى السلسلة الكلامية، فتؤدي وظائف فى غاية الأهمية، إذ تقوم بتجميع الصوامت مع بعضها البعض لتأليف الكلام أولا، ثم تقوم بإعطائها قوة على الإسماع، لذا توجد فى كل مقطع من المقاطع المؤلفة للكلمة فى العربية، حيث تمثل النواة في الخلية اللغوية، ويكفي عددها لمعرفة عدد المقاطع، هذا بالإضافة إلى الوظائف الفنية الإيقاعية التى تضطلع بها عند تطويلها بزيادة الزمن الذي تستغرقه.

الثانية: دراسة فواصل مطالع السور

جاءت فواصل مطالع سور طه والنجم والضحى على هيئة مقطع صوتي متوسط، متكوِّن من صامت يعقبه صائت طويل (فتحة طويلة تسمى ألف مد ولين لدى القدماء)، بينما جاءت فواصل سورتي السجدة وفصلت على هيئة مقطع صوتي طويل، متكوِّن من صامتين يتوسطهما صائت طويل (كسرة طويلة أو ضمة طويلة)، يخرج من تجويف الفم والحلق، وخروج الصائت من تجويف الفم والحلق على هيئة حركة طويلة - فتحة أو كسرة أو ضمة - عند النطق بالفاصلة يترتب عليه أربعة أشياء:

١ـ وضوح المنطوق.

لأن النطق بالصائت يتم بأن" يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل، وخلو مجرى الهواء من الحوائل أو الموانع يجعل الصوت الصائت أوضح من الصوت الصامت([١٠]).

٢ـ التمكين للنطق.

يحدث التمكين للنطق نتيجة تطويل الصوت ومدِّه بإلحاق ألف المدّ في فواصل آيات مطالع سور طه والنجم والضحى، وإلحاق ياء المد أو واو المد في فواصل آيات مطلع سورتي السجدة وفصلت، لذا تلاحظ " أنَّ الحركات التي في قوافي الشعر يغلب فيها ألا تبقى على كميتها القصيرة، وإن الطابع الإنشادي للشعر العربي يجعل الشاعر يترنم بالشعر فيشبع حركاته الأخيرة بما يسمى إطلاق القافية، فتطول الحركة وتصبح مدّا([١١]).

٣ـ المساعدة على التطريب والترنم.

يحدث التطريب والترنم نتيجة مدِّ الصوت بالفتحة الطويلة في فواصل آيات مطالع سور طه والنجم والضحى، ومدِّه بالكسرة الطويلة أو الضمة الطويلة المتبوعة بالميم أو النون في فواصل آيات مطلع سورتي السجدة وفصلت، والميم والنون كلاهما صوتٌ أغنّ، يحدث نتيجة القفل التام لفراغ الفم والسماح للهواء بالانطلاق من فراغات الأنف دون أن تقوم اللهاة بعزل الهواء الموجود فى فراغ الفم من الهواء المنطلق عبر الأنف فتحدث الغنة([١٢])، يقول سيبويه عن

العرب: " أمَّا إذا تَرَنَّمُوا فإنهم يُلحقون الألف والياء والواو ما يُنَوَّنُ وما لا يُنَوَّنُ، لأنهم أرادوا مَدَّ الصوت([١٣])".

٤ـ الإحساس بجمال المسموع، وتجاوب المشاعر معه.

بسبب الأمور الثلاثة السابقة تشعر الأذن بجمال الصوت وتصغي له؛ لأن الأذن – كما يقول ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) - تلتذّ بالصوت الحسن كالتذاذ العين بالمنظر الحسن، والأنف بالروائح الطيبة، والفم بالطعوم الحسنة([١٤]).

من ثمَّ، كانت الفاصلة في المطالع الخمسة من الناحية الصوتية: عبارة عن مقطع صوتي (متوسط مفتوح أو طويل مغلق) له وظيفة فنية (صوتية جمالية)، حيث يُمَكِّن للنطق ويمنحه وضوحا تشعر الأذن بجماله وتتجاوب المشاعر معه، ويحدث التطريب والترنم عند تكراره في فواصل الآيات، بسبب ماينتج عن تكراره من إيقاع صوتي عذب، يغزو الأسماع، ويؤثر في النفوس، تلحظ ذلك في سورة الضحى التي نزلت لترد على من شَمِت من المشركين برسول الله ﷺ حينما أبطأ الوحي عليه([١٥])، وجاءت فاصلة مطلعها بالمزية الجمالية سالفة الذكر؛ لتجذب انتباه هؤلاء الشامتين وتقرع أسماعهم، فيسمعوا كلام الله تعالى وهو يقسم على عدم وداع نبيه أو قليه، وتلحظه في سورة النجم التي جاء مطلعها بفاصلة منتهية بالمقطع المتوسط المفتوح المشار إليه، ليؤدى وظيفة فنية (صوتية جمالية)، هَدَفُهَا غزو أسماع مَنْ يُكذّبون محمدا في رسالته، وجَذْبُهم لسماع كلام الله تعالى وهو يُقْسِم على صدق رسوله في دعوته، وتلحظه في سور طه والسجدة وفصلت، حيث استُهِلّ كلٌّ مِنْ مطلع سورتي طه وفصلت بحرفين من الأحرف المقطعة (طه، حم) يمثلان عند الأداء والتلاوة مقطعين صوتيين، الثاني منهما(مقطع الفاصلة)، واستُهِلّ مطلع سورة السجدة بثلاثة من الأحرف المقطعة (الم) تمثل عند التلاوة أربعة مقاطع صوتية، الرابع منهما (مقطع الفاصلة)، وكلما تكرر مقطع الفاصلة مع تلاوة الآيات أحدث إيقاعا عذبا، يشعر به السامع وتتلذذ به أذنه، وتتجاوب معه مشاعره، فيعيش في جو روحي علوي لطيف، تعنو له الوجوه، وتخشع له القلوب.

الثالثة: دراسة البنية المقطعية للآيات في مطالع السور

ما ذكرته سلفا من جمال صوتي، كان على مستوى مقطع الفاصلة وحده عندما يتكرر مع التلاوة في كل آيات المطلع، لكن لو نظرت إلي البنية المقطعية للآيات وتأملت علاقة مقطع الفاصلة ببقية مقاطع الآية التي جاءت مختومة به، تجده متجاذبا ومتلاحما مع جميع مقاطع آيته، مُحْدِثا مع بقية النسيج المقطعي تناغما صوتيا وإيقاعا بالغ الغاية في الجمال، وإليك النسيج المقطعي([16]) لترى ما أقول:

أولا: النسيج المقطعي لآيات مطلع سورتي الضحى والنجم

أ- النسيج المقطعي لمطلع سورة الضحى

وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى(٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى(٣)

وَالضُّحَى (١)

١- وضْـ	ص ح ص	متوسط	مغلق
٢- ضُـ	ص ح	قصير	مفتوح
٣- حَى	ص ح ح	متوسط	مفتوح

وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى(٢)

١- وك	ص ح ص	متوسط	مغلق
٢- لَيْـ	ص ح ص	متوسط	مغلق
٣- لِ	ص ح	قصير	مفتوح
٤- إِ	ص ح	قصير	مفتوح
٥- ذا	ص ح ح	متوسط	مفتوح
٦- سَـ	ص ح	قصير	مفتوح
٧- جَى	ص ح ح	متوسط	مفتوح

مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى(٣)

١- مَا	ص ح ح	متوسط	مفتوح
٢- وَدْ	ص ح ص	متوسط	مغلق

٣- دَ	ص ح	قصير	مفتوح
٤- عَـ	ص ح	قصير	مفتوح
٥- كَ	ص ح	قصير	مفتوح
٦- رَبْـ	ص ح ص	متوسط	مغلق
٧- بُ	ص ح	قصير	مفتوح
٨- كَ	ص ح	قصير	مفتوح
٩- وَ	ص ح	قصير	مفتوح
١٠- مَا	ص ح ح	متوسط	مفتوح
١١- قَ	ص ح	قصير	مفتوح
١٢- لَى	ص ح ح	متوسط	مفتوح

بالنظر في النسيج المقطعي للآيات الثلاث نلاحظ ما يلي:

١- جاء مقطع فاصلة الآية الأولى (حَى) متوائما مع المقطعين السابقين له (وَضْـ - ضـ) من حيث الكم؛ لتقارب المقاطع الثلاثة في دفقة النفس، بالتراوح بين التوسط والقصر، وجاء أيضا كل من مقطع فاصلة الآية الثانية (جَى) ومقطع فاصلة الآية الثالثة (لَى) متوائما من حيث الكم مع جميع المقاطع السابقة له في آيته؛ لتقارب المقاطع جميعا في دفقة النفس، من خلال التراوح مابين التوسط والقصر.

٢- ضبط قوله تعالى (إِذَا سَجَى) إيقاع الآية الثانية الذي اختتمت به؛ لأن الآية بدونه تكون كلمة واحدة (والليل) مكوَّنة من مقطعين مغلقين (وَلْ- لَيْلْ)، أولهما متوسط وثانيهما طويل، ووجود مقطع طويل بين مقاطع كلها قصيرة ومتوسطة لا ينشأ عنه إيقاع عذب كالإيقاع الناشئ عن توالي مقاطع متقاربة في دفقة النفس، لذا ، فإن مجيء (إِذَا سَجَى) عقب كلمة (والليلِ) مباشرة فتح مقطعها الطويل (لَيْلْ) وصيَّر مقاطعها ثلاثة، أولها وثانيها متوسطان وثالثها قصير(وَلْ / لَيْـ / لِ) وأضاف أربعة مقاطع متماثلة مفتوحة متتالية، فاستقام الإيقاع بها جميعا.

٣- قوله تعالى (إِذَا سَجَى) الذي اختتمت به الآية الثانية وحمل مقطع الفاصلة شارك في صنع نسيج صوتي عذب، تشعر به الأذن؛ لأن الآية بُدئت بثلاثة مقاطع صوتية (وَلْ / لَيْـ / ـلِ)، أولها وثانيها مغلقان وثالثها مفتوح، ثم جاء قوله (إِذَا سَجَى) متكوّنا من أربعة مقاطع متماثلة مفتوحة متتالية (إِ / ذا / سَـ / جَى)، فاستقام الإيقاع بالمقاطع جميعا وصار عذبا، وكذلك قوله تعالى(وَمَا قَلَى) أضاف على الآية الثالثة (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) أربعة مقاطع مفتوحة (وَ / ما / قَ / لَى) شاركت في صنع نسيج صوتي جميل، له إيقاعٌ عذبٌ مستقيمٌ، لكي تشعر بذلك الإيقاع اقرأ الآيات الثلاثة الأُوَل بدون (إِذَا سَجَى) و(وَمَا قَلَى) حينئذ لن تجد لقراءتك إيقاعا عذبا مستقيما كإيقاع قوله تعالى: والضُّحَى(١) واللَّيْلِ إِذَا سَجَى(٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى(٣)؛ لأن وجود المقاطع الصوتية المتماثلة المتتالية في قوله تعالى (إِذَا سَجَى) و(وَمَا قَلَى) مع نسيج بنية المطلع هو الذي أحدث ذلك الإيقاع العذب، ووجود مقطع فاصلة الآية الثانية (جَى) بين هذه المقاطع، وتجاوبه مع مقطع فاصلة الآية الأولى (حَى) ومقطع فاصلة الآية الثالثة (لَى) أضاف بُعْدا آخر من جماليات الصوت وسحر الأداء، حيث خلق وقعا موسيقيا عذبا يؤثر في نفوس السامعين ويستولي على مشاعرهم.

٤- لجملتي (إِذَا سَجَى) و(مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) دورٌ دلاليٌّ بجانب دورهما الصوتيّ الجماليّ؛ لأنهما لم يأتيا لمجرد انسجام صوتي أو تفاعل نسيج مقطعي فحسب، إنما جاءتا أيضا لينبثق عنهما دلالة تتواءم مع السياق العام، كتناسب (إِذَا سَجَى) مع القسم بالليل؛ لأن الليل إذا سجى- أي: استقر ظلامه فسكن وسكن الناس فيه[١٧]- يكون محلا للهدوء وتلقي الفيوضات، أو تتلاءم مع موقف ما، كتوائم دلالة (وَمَا قَلَى) المعطوفة على (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ) مع سلوك جماعة شامتة، تقول: رب محمد ودَّعه، لتؤكد لهم أن ربه ما ودعه وما قلاه.

بـ النسيج المقطعي لمطلع سورة النجم

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى(١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى(٢)

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى(١)

١- وَنْـ	ص ح ص	متوسط	مغلق
٢- نَجْـ	ص ح ص	متوسط	مغلق
٣- مِ	ص ح	قصير	مفتوح
٤- إِ	ص ح	قصير	مفتوح
٥- ذَا	ص ح ح	متوسط	مفتوح
٦- هَـ	ص ح	قصير	مفتوح
٧- وَى	ص ح ح	متوسط	مفتوح

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى(٢)

١- مَا	ص ح ح	متوسط	مفتوح
٢- ضَلْـ	ص ح ص	متوسط	مغلق
٣- لَ	ص ح	قصير	مفتوح
٤- صَا	ص ح ح	متوسط	مفتوح
٥- حِـ	ص ح	قصير	مفتوح
٦- بُـ	ص ح	قصير	مفتوح
٧- كُمْ	ص ح ص	متوسط	مغلق
٨- وَ	ص ح	قصير	مفتوح
٩- مَا	ص ح ح	متوسط	مفتوح
١٠- غَـ	ص ح	قصير	مفتوح
١١- وَى	ص ح ح	متوسط	مفتوح

بالنظر في هذا التقسيم المقطعي نلاحظ ما يلي:

١- تطابَق النسيج المقطعي الخاص بقوله تعالى (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) في سورة النجم مع نسيج قوله تعالى (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) في سورة الضحى تطابقا

كاملا، في الكم والنوع، فمن حيث عدد المقاطع (سبعة)، ومن حيث الكم (ثلاثة قصيرة وأربعة متوسطة) ومن حيث الانغلاق والانفتاح (اثنان مغلقان وخمسة مفتوحة)، ومن حيث نوع الحركة وكمها.

٢- ضُبِطَ إيقاع الآية الأولى من سورة النجم بوجود (إِذَا هَوَى) في نهايتها كما ضُبِطَ إيقاع الآية الثانية من سورة الضحى بوجود (إذا سجى) في نهايتها.

٣- قوله (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) الذي اختُتِمَت به الآية الثانية وحَمَلَ مقطع الفاصلة شارك في صنع نسيج صوتي جميل، له إيقاعٌ عذب، تشعر به الأذن عند التلاوة ؛ لأن الآية بعد أن بدأت بثلاثة مقاطع صوتية (وَنْ - نَجْـ - مِ)، أولها وثانيها مغلقان وثالثها مفتوح، جاء قوله (إذا هوى) فأضاف عليها أربعة مقاطع متماثلة مفتوحة متتالية، استقام الإيقاع بها وصار عذبا؛ لسببين:

الأول: لتوفر المقاطع الصوتية المتماثلة، حيث إن تماثل المقاطع الصوتية هو الذي يحدث ذلك الإيقاع العذب المحبب.

الثاني: لوجود الصائت الطويل في مقطع الفاصلة (وَى) الذي تذيلت به الآية الأولى، حيث أضاف مسحة أخرى من الجمال بتكرره في مقطع فاصلة الآية التي تلتها: (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى)، لذا لو أتى الكلام خاليا من قوله (إِذَا هَوَى) ما استقام الإيقاع كما في قوله تعالى: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى(١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى(٢).

٤- قوله تعالى(وَمَا غَوَى) في ختام الآية الثانية (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) أضاف أيضا عليها أربعة مقاطع مفتوحة (و- ما- غَـ - وَى) ضبطت إيقاعها وشاركت في صنع نسيج صوتي جميل، له إيقاع عذب مستقيم، أما لو أتى الكلام خاليا من قوله (وَمَا غَوَى) ما استقام الإيقاع، وما شعرت بعذوبته كما في قوله تعالى: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى(١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى(٢)؛ لأن وجود مقطع فاصلة الآية الأولى (وَى) وتكراره في فاصلة الآية الثانية وتجاذُبه مع بقية مقاطع الآيتين خَلَقَ وَقْعا موسيقيا عذبا يؤثر في نفوس السامعين.

٥- في قوله تعالى: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى(١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى(٢) يتجلى الانسجام الصوتي في أبهى صوره من خلال:

- اختتام الآية الأولى بخمسة مقاطع متتالية مفتوحة (مِ – إِ – ذا – هَـ - وَى)، واختتام الآية الثانية بأربعة مقاطع مفتوحة أيضاً (وَ – ما – غَـ – وَى) أعطت تماثلا **assimilation** يساعد القارئ على انطلاق لسانه عند تلاوتهما، ويمنح السامع إحساساً بعذوبة النطق وجماله.

- وجود مقطعين مغلقين في الآية الثانية هما: رقما٢(ضَلْ)، و٧(كُمْ) بين تسعة مقاطع مفتوحة في الآية الثانية، حيث مَثَّلا تخالفا **dissimilation** أعطى نوعا من التأثير الصوتي.

هذا من ناحية نوع المقاطع وكيفها، أما من ناحية الكم فقد تكونت الآيتان الكريمتان من مقاطع قصيرة ومتوسطة، وهذا يؤدى إلى حدوث تناسق في الضغط وقوة الإسماع؛ لأن دفقات هواء الرئتين في المقاطع القصيرة والمتوسطة تكون قوية، ولأن الحركات تكون قوة إسماعها أشد.

٦- الأعجب من ذلك إنك من قوة انسجام بناء الآيتين تجد قراءتهما جاءت موزونة([١٨]):

وَنْ نَجْ / مِ إِذَا هَوَى / مَا ضَلْـلَ صَا / حِبُكُمْ وَمَا / غَوَى

مُتْفَا / مُتَفَاعِلُن / مُتْفَاعِلُن / مُتَفَاعِلُن / عِلُن

٥/٥/ ٥//٥/// ٥//٥/// ///٥//٥ //٥

لكنْ بصورة مختلفة عن الوزن المعروف في الشعر، تلمح الاختلاف في أول مقطعين في صدر الآية الأولى (وَنْ - نَجْ) وآخر مقطعين في ذيل الآية الثانية (غَـ - وَى)، أعني أنه رغم مجيء الآيتين موزونتين بأربع تفعيلات على هيئة تفعيلات مجزوء الكامل، لكن التفعيلة الأولى أتت مشطورةً حاضنةً أخواتها الثلاث - { مُتْفَا - مُتَفَاعِلُن/ مُتْفَاعِلُن/ مُتَفَاعِلُن- عِلُن } - في نسيج صوتي متَّسق، له إيقاعٌ متميز.

كذلك الأمر بالنسبة لبقية آيات المطلع، عندما تتأملها تجدها آيات قصيرة مشتملة على فواصل سريعة متقاربة، وجمل متساوية في الوزن تقريباً، وحين تقرؤها تجد لها إيقاعا متحدا، خذ مثلا الآيات: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى(١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى(٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى(٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) التي ربما يظن ظان أن كلمات (الثَّالِثَةَ والأُخْرَى وإِذًا) زائدة فيها، ولا داعي لها، أو أن كلمة (ضِيزَى[١٩]) غريبة فيها، تأمَّلْها جيدا تجد أنه لايمكن الاستغناء عن أي لفظ منها بأية حال؛ لانضباط إيقاع الآيات بها، ولضرورتها الدلالية في السياق، وهاك النسيج المقطعي للآيات لترى ما أقول:

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى(١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى(٢٠)

١- أ	ص ح	١- وَ	ص ح
٢- فَ	ص ح	٢- مَ	ص ح
٣- ر	ص ح	٣- نا	ص ح ح
٤- أيْ	ص ح ص	٤- ةَ ثْ	ص ح ص
٥- تُ	ص ح	٥- ثا	ص ح ح
٦- مُك	ص ح ص	٦- لِ	ص ح
٧- لا	ص ح ح	٧- ثَ	ص ح
٨- تَ	ص ح	٨- ةَ لْ	ص ح ص
٩- وَك	ص ح ص	٩- أُخْ	ص ح ص
١٠- عُزْ	ص ح ص	١٠- رَى	ص ح ح
١١- زَى	ص ح ح		

أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى(٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى(٢٢)

١- أ	ص ح	١- تِلْـ	ص ح ص
٢- لَـ	ص ح	٢- كَ	ص ح
٣- كُـ	ص ح	٣- إِ	ص ح
٤- مُ ذْ	ص ح ص	٤- ذَن	ص ح ص

٥- ذَ	ص ح	٥- قِسْـ	ص ح ص
٦- كَ	ص ح	٦- مَـ	ص ح
٧- رُ	ص ح	٧- ةٌ	ص ح ص
٨- وَ	ص ح	٨- ضِيـ	ص ح ص
٩- لَ	ص ح	٩- زَى	ص ح ح
١٠- هُلْ	ص ح ص		
١١- أُنْ	ص ح ص		
١٢- ثَى	ص ح ح		

بالنظر فى هذا التقسيم المقطعى نجد:

١- اشتمل قوله تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعزَّى.آية١٩) على أحد عشر مقطعا، واشتمل قوله تعالى (وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى.آية٢٠) على عشرة مقاطع، فأصبح مجموع مقاطع الآيتين (٢٠،١٩) معا واحدا وعشرين مقطعا، واشتمل قوله تعالى (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى.آية٢١) على اثني عشر مقطعا واشتمل قوله تعالى (تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى.آية٢٢) على تسعة مقاطع، فأصبح مجموع مقاطع الآيتين (٢٢،٢١) معا واحدا وعشرين مقطعا، وكأن الآيتين رقمى(٢٠،١٩) معا تمثلان ما يمثله البيت الشعري من صدر في آية رقم (١٩)، وعجز في آية رقم (٢٠)، وكأن الآيتين رقمي(٢٢،٢١) تمثلان أيضا بيتا شعريا آخر، يتناسق الكلام بجميع ألفاظها ويتوازن به؛ نتيجة تساوي المقاطع الصوتية في الآيتين رقمى (٢٠،١٩) وتطابقها مع مقاطع الآيتين رقمي(٢٢،٢١).

٢- أما لو حُذِفَت كلمة (الثالثة) من قوله تعالى (وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى) في الآية رقم (٢٠) لنقص من مقاطع الآية أربعة مقاطع وأصبح مجموع مقاطع الآية ستة فقط، هكذا: (وَ- مَـ – نا – ةَ لْـ – أُخْـ – رَى) فيختل إيقاع الآية، ولو خَلَت الآية من كلمتي (الثالثة الأخرى) لنقص من مقاطعها ستة مقاطع، وصار مجموع مقاطع الآيتين رقمي (٢٠،١٩) معا خمسة عشر مقطعا فقط (أَ – فَـ – رَ– أَيْـ – تُـ – مُ لْـ – لا – ةَ – وَلْـ – عُزْ – زَى – وَ – مَـ – نا – ةَ) فيختل إيقاع

مجموع الآيتين معا، ويصبح نشازا بين ما قبله وما بعده من نسق صوتى متحد، وكذلك لو خلا قوله تعالى:(تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) في الآية رقم (٢٢) من كلمة (إذًا) ما استقام الإيقاع أيضا بسبب نقص ثلاثة مقاطع، ولو استُبْدِلَت كلمةٌ مشابهةٌ مثل (جائرة) بكلمة (ضيزى) يختل الإيقاع أيضا؛ لأن كلمة (ضيزى) خفيفة صوتيا؛ لتكوُّنها من مقطعين اثنين (ضِيـ – زَى)، أما كلمة (جائرة) فمكونة من أربعة مقاطع (جا- ءِ – رَ– ةٌ)، وعند استبدالها بكلمة (ضيزى) يصبح مجموع مقاطع الآيتين رقمي(٢١،٢٢) ثلاثة وعشرين مقطعا، تأتى بعد إحدى وعشرين مقطعا سابقة عليها في قوله (أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى) فيختل إيقاع الآيات، وهذا القول لا يعنى أن كلمتي (الثالثة وإذا) جاءتا لاتزان الإيقاع، وأن كلمتي:(الأخرى وضيزى) جاءتا لمراعاة الفاصلة، بل هي – أي: الثَّالِثَةَ ، الْأُخْرَى ، إِذًا ، ضِيزَى - كلمات ضرورية في النظم، جاءت لتؤدي معنى في السياق، وتؤدي معه تناسبا في الإيقاع، دون أن يطغى هذا على ذاك، فكلمة (ضيزى) مثلا جاءت غريبة لتناسب غرابة قسمة الكفار حينما جعلوا الملائكة بناتٍ لله وخصوا أنفسهم بالذكور[٢٠].

٣- كذلك لجملتي (إذا هوى) و(ما غوى) دور دلالي بجانب دورهما الصوتي الجمالي؛ لأنهما لم يأتيا لمجرد انسجام صوتي أو تفاعل نسيج مقطعي فحسب، إنما جاءتا أيضا لتنبثق عنهما دلالة تتواءم مع السياق العام، كتناسب (إذا هوى) مع القسم بالنجم؛ لأن النجم إذا كان في وسط السماء يكون بعيدا عن الأرض لا يهتدي به الساري؛ حيث لا يعلم به المشرق من المغرب، ولا الجنوب من الشمال، فإذا زال تبين بزواله جانب المشرق من المغرب، والجنوب من الشمال[٢١]، أو تنبثق عنهما دلالة تتلاءم مع موقف، كتوائم دلالة جملة (ما غوى) المعطوفة على (ما ضل) وتفاعلها مع سلوك جماعة جاحدة مُنْكِرة، تقول: إن محمدا يتقوَّل القرآن.

ثانيا- النسيج المقطعي للآيات في مطالع سور طه والسجدة وفصلت

أ- النسيج المقطعي لمطلع سورة طه

طه(١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى(٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى(٣) تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى(٤) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى(٥) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى(٦) وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى(٧) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى(٨)

الآية الأولى: طـه (١)

احتوت هذه الآية على مقطعين صوتيين متماثلين (طا – ها) من النوع الثاني(متوسط مفتوح ص ح ح) معتمدَين على الحركة الأمامية المتسعة.

الآية الثانية: مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى(٢)

احتوت هذه الآية على ثلاثة عشر مقطعا: (ما- أَنْـ - زَلْـ - نا - عَـ - لَيْـ - كَلْـ - قُرْ - ءا - نَ - لِـ - تَشْـ - قَى)، منها ثلاثة مقاطع من النوع الأول(قصير مفتوح ص ح) وأربعة مقاطع من النوع الثاني (متوسط مفتوح ص ح ح) وستة مقاطع من النوع الثالث (متوسط مغلق ص ح ص)، والمقاطع كلها معتمدة على الحركة الأمامية المتسعة، عدا المقطعَين الثامن(قُرْ) المعتمد على الحركة الخلفية الضيقة، والحادي عشر(لِـ) المعتمد على الحركة الخلفية المتسعة.

الآية الثالثة: إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى(٣)

احتوت هذه الآية على عشرة مقاطع (إِلْـ - لَا - تَذْ - كِـ - رَ - ةً - لِـ - مَنْ - يَخْـ - شَى) ، منها ثلاثة من النوع الأول(قصير مفتوح ص ح) ومقطعان من النوع الثاني (متوسط مفتوح ص ح ح) وخمسة من النوع الثالث (متوسط مغلق ص ح ص)، والمقاطع كلها معتمدة على الحركة الأمامية المتسعة، عدا المقاطع: الأول(إِلْـ) والرابع (كِـ) والسابع(لِـ) المعتمدة على الحركة الخلفية المتسعة.

الآية الرابعة: تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى(٤)

احتوت هذه الآية على سبعة عشر مقطعا (تَنْ - زِيـ - لَنْ - مِمْـ - مَنْ - خَـ - لَـ - قَلْ - أَرْ - ضَ - وَسْـ - سَـ - ما - وا - تِلْـ - عُـ - لى) ، منها خمسة من النوع الأول(قصير مفتوح ص ح) وأربعة من النوع الثاني (متوسط مفتوح ص ح ح) وثمانية من النوع الثالث (متوسط مغلق ص ح ص) والمقاطع كلها معتمدة على الحركة الأمامية المتسعة، عدا المقاطع: الثاني(زِيـ) والرابع (مِمْ) والخامس عشر(تِلْ) المعتمدة على الحركة الخلفية المتسعة، والسادس عشر (عُ) المعتمد على الحركة الخلفية الضيقة.

الآية الخامسة: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى(٥)

احتوت هذه الآية على عشرة مقاطع: (أَرْ - رَحْ - ما - نُ - عَـ - لَلْ - عَرْ - شِسْـ - تَـ - وَى) ، منها ثلاثة من النوع الأول(قصير مفتوح ص ح) ومقطعان من النوع الثاني (متوسط مفتوح ص ح ح) وخمسة من النوع الثالث (متوسط مغلق ص ح ص) والمقاطع كلها معتمدة على الحركة الأمامية المتسعة، عدا المقطعين: الرابع(نُ) المعتمد على الحركة الخلفية الضيقة، والتاسع (شِسْ) المعتمد على الحركة الخلفية المتسعة.

الآية السادسة: لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى(٦)

احتوت هذه الآية على(٢٥) مقطعا: (لَـ - ـهُ - ما - فِسْـ - سَـ - ما - وا - تِ - وَ - مَا - فِلْ - أَرْ - ضِ - وَ - ما - بَيْـ - نَـ - هُـ - ما - و - ما - تَحْـ - تَثْـ - ثَـ - رَى) كلها قصيرة ومتوسطة، منها أحد عشر مقطعا من النوع الأول (قصير مفتوح ص ح) وثمانية مقاطع من النوع الثاني (متوسط مفتوح ص ح ح) وستة مقاطع من النوع الثالث (متوسط مغلق ص ح ص) والمقاطع كلها معتمدة على الحركة الأمامية المتسعة، عدا المقطعين: الثاني(ـهُ) والثامن عشر (هُ) المعتمدَين على الحركة الخلفية الضيقة، والرابع (فِسْ) والثامن(تِ) والثالث عشر(ضِ) المعتمدين على الحركة الخلفية المتسعة.

الآية السابعة: وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى(٧)

احتوت هذه الآية على(١٩) مقطعا: (وَ- إن - تَجْ - هَرْ - بِلْ - قَوْ - لِ - فَ - إِنْ - نَ - هُ - يَعْ - لَ - مُسْ - سِرْ - رَ - و - أَخْ - فَى)، منها ثمانية مقاطع من النوع الأول (قصير مفتوح ص ح) ومقطع واحد من النوع الثاني (متوسط مفتوح ص ح ح) وعشرة مقاطع من النوع الثالث (متوسط مغلق ص ح ص) والمقاطع كلها معتمدة على الحركة الأمامية المتسعة، عدا المقاطع: الثاني(إِنْ) والخامس (بِلْ) والسابع(لِ) والتاسع(إِنْ) المعتمدة على الحركة الخلفية المتسعة، والحادي عشر(هُ) والرابع عشر(مُسْ) المعتمدَين على الحركة الخلفية المتسعة.

الآية الثامنة: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى(٨)

احتوت هذه الآية على(١٨) مقطعا: (أَلْ - لا - هُ - لا - إِ - لا - هَ - إِلْ - لا - هُ - وَ - لَ - هُ لْ - أَسْ - ما - ءُلْ - حُسْ - نَى)، منها ستة مقاطع من النوع الأول (قصير مفتوح ص ح) وستة مقاطع من النوع الثاني (متوسط مفتوح ص ح ح) وستة مقاطع من النوع الثالث (متوسط مغلق ص ح ص) والمقاطع كلها معتمدة على الحركة الأمامية المتسعة، عدا المقاطع: الثالث(هُ) والعاشر(هُ) والثالث عشر(هُ لْ) والسادس عشر (ءُلْ) والسابع عشر(حُسْ) المعتمدة على الحركة الخلفية الضيقة، والخامس(إِ) والثامن(إِلْ) المعتمدَين على الحركة الخلفية المتسعة.

بالنظر في مطلع سورة طه ونسيج مقاطع آياته نلاحظ ما يلي:

١- تضمن المطلع أربعة أشياء، أولها: الابتداء بحرفين من الأحرف المقطعة(طه)، وثانيها: التهوين على رسول الله ببيان واجبه كرسول أنْ يذكِّر بالقرآن المُتَنَزَّل عليه، لا أن يشقى به من طول التهجد أو الأَسَف على قومه المعرضين عنه (مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى)، وثالثها: بيان ما لصاحب التنزيل من صفاتٍ كالقدرة (خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى) والهيمنة (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) والمِلْك (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى) والعِلْم (فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى)،

ورابعها: الاختتام بإعلان كلمة التوحيد (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى) التي نزل القرآن من أجل إعلائها.

٢- جاء المطلع – من الناحية الصوتية - على أحسن وجوه البلاغة وأكملها؛ لأمرين: الأول: لأنه ابتُدِئ ابتداء حسنا بحرفَي الطاء والهاء المقطعين(طه) الذين يمثلان عند التلاوة مقطعين صوتيين متماثلين في الكم(طا- ها)، يشاكلان ما بعدهما من رءوس الآي، فيترتب على ذلك إيقاع عذب، تنفتح له أذن المستمع وتتجاوب معه عواطفه، هذا الابتداء سَمَّاه القدماء براعة الاستهلال([٢٢]).

الثاني: لأن معانيه جاءت في صورة بناء لغوي محكم، يتميز بنسيج مقطعي متوائم، وانسجام صوتي مبهر، سيتم عرضه فيما يلي.

٣- احتوت آيات المطلع على عدد من الصوامت بلغت (١٣٥) صامتا، معظمها من الصوامت اللثوية والشفوية التي خدمت المطلع وتناسبت معه، حيث جعلته بجهرها([٢٣]) أكثر وضوحا في السمع([٢٤])، وأحدثت فيه بتكرارها نوعا من التجانس الصوتي.

الجدول النوعي لصوامت آيات مطلع سورة طه

الصامت	مخرجه	عدد وروده	النسبة المئوية
ء هـ	الحنجرة	٢٢(٩،١٣)	١٦%
ع ح	الحلق	٨	٦%
ق	اللهاة	٤	٣%
ك خ	الطبق	٣	٢%
ش ج ي	الغار	٦	٤%
ل ر ن	اللثة	٤٣(١١،٨،٢٣)	٣١%
ت ط ز س ض	الأسنان مع اللثة	٢٠(٨،١،٢،٧،٢)	١٤%
ث	ما بين الأسنان	١	١%
ف	شفة سفلى مع أسنان	٤	٣%

ب و م	عليا الشفتان	٢٥(٢،١١،١٢)	١٩%
المجموع	١٠مخارج	١٣٥صامتا	١٠٠%

٤- احتوت آيات المطلع على (١١٤) مقطعا، كلها من النوع المتوسط والقصير، واعتمدت في نسيجها على المقاطع المفتوحة أكثر مما اعتمدت على المقاطع المغلقة، ولهذا دلالته، أما تراوح المقاطع جميعا بين التوسط والقصر فجعلها متقاربة من حيث دفقة النفس، وجعل فيها قوة، وجعل إيقاعَها- المتوسط بين السرعة والبطء - أقربَ إلى السرعة منه إلى البطء، وأما اعتمادها على المقاطع المفتوحة فجعلها أوضح في السمع.

الجدول النوعي للمقاطع من حيث التوسط والقصر والانفتاح والانغلاق

نوع المقطع	عدده	نسبته المئوية	نوع المقطع	عدده	نسبته المئوية
مقطع متوسط مقطع قصير	٧٤ ٤٠	٦٥% ٣٥%	مقطع مفتوح مقطع مغلق	٦٧ ٤٧	٥٩% تقريبا ٤١% تقريبا
المجموع	١١٤	١٠٠%	المجموع	١١٤	١٠٠%

٥- لم تعتمد آيات المطلع في نسيجها على الحركة الخلفية القصيرة الضيقة **close**، بل اعتمدت على الحركة الأمامية الطويلة، أي على "الصائت الأمامي المتسع **open** " مع اختلاف كمه ما بين طويل وقصير، وهو أوضح الصوائت في السمع، مما ساعد على وضوح المطلع.

الجدول النوعي للحركات التي اعتمدت عليها المقاطع

نوع الحركة	عددها	النسبة المئوية
متسعة أمامية " فتحة "	٨٣	%٧٤
متسعة خلفية " كسرة "	١٩	%١٦
ضيقة خلفية " ضمة "	١٢	%١٠
المجموع	١١٤	%١٠٠

٦- اعتماد آيات المطلع في نسيجها على الحركة الأمامية الطويلة، "الصائت الأمامي المتسع" وعدم اعتمادها على الحركة الخلفية الضيقة جعل آيات المطلع خفيفة على اللسان، وأيسر في النطق([٢٥]).

٧- اشتملت آخر آيات المطلع (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) على ثمانية صوامت (ء ل هـ و س م ح ن)، منها أصوات صامتة تكررت كثيرا فأحدث تكرارها نوعا من التجانس الصوتي (هي: اللام والهمزة والهاء، تكررت اللام تسع مرات، والهمزة خمس مرات، والهاء أربع مرات)، ومنها صوامت لم تتكرر(هي: م ن س ح و) لكنها مثلت تخالفا وسط الأصوات المتماثلة أحدث نوعا من الانسجام الصوتي، واشتملت على ثمانية عشر مقطعا، واعتمدت مقاطعها على الحركة المتسعة الأمامية (الفتحة الطويلة والقصيرة)١٨/١١، ولم تعتمد على الحركة الضيقة (الكسرة أو الضمة)، واعتمدت على المقاطع المفتوحة دون المغلقة، حيث كان عدد المقاطع المفتوحة ١٨/١٢، أي ثلاثة أضعاف المقاطع المغلقة، لو تدبرنا تلك التآلفات الصوتية ندرك أنّ نسيج هذه البنية لا يتميز بالاتساق الصوتي فقط، إنما أيضا تنبثق عنه دلالة جلية، واضحة في السمع: أن الله واحد لا شريك له، وكأنّ نسيج هذه البِنْيَة - بما يتميز به من انسجام صوتي – يجذب الآذان إلى سماع تلك الدلالة؛ ليكون السماع طريقا إلى غزو الأرواح، ومخاطبة العواطف، ودعوة القلوب إلى الإيمان، وكأن عمر رضي الله عنه قد سمع – بفراسته - نداء الإيمان لأول مرة في مطلع سورة طه عندما قرأه في

الصحيفة التي كانت مع أخته فاطمة بنت الخطاب، فما كان منه إلا أن لبّى النداء وأسلم.

٨- يظهر الجمال الصوتي في جملة :(الله لا إله إلا هو) التي تحمل كلمة التوحيد في آخر آيات المطلع، ويتجلى فيها الانسجام والتناغم بشكل مبهر، فيما توضحه الأسهم في الشكل الآتي، حيث:

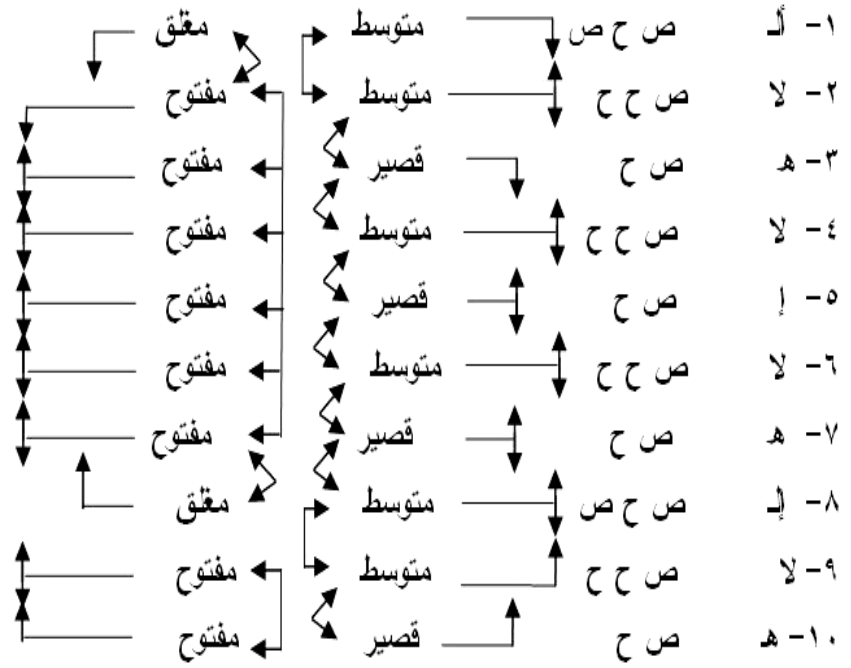

أ- تكونت من عشرة مقاطع كلها قصيرة ومتوسطة أحدثت تماثلا، وبدأت بمقطع متوسط مغلق(أَلْ) تَلَتْهُ ستة مقاطع مفتوحة متراوحة ما بين متوسط وقصير (لا – هُ – لا – إِ – لا - هَ)، أعطت بانفتاحها تماثلا **assimilation** من ناحية الكيف والنوع، وأعطت تماثلا من ناحية الكم بتراوحها بين التوسط والقصر فكانت متقاربة في دفقة النفس، ثم أعقبها مقطعان مفتوحان آخران (لا – هُ) وقد فَصَلَ بين المقاطع الثمانية المفتوحة مقطعٌ متوسطٌ مغلقٌ (إِلْ)، مَثَّل وُجُودُهُ بين المقاطع المفتوحة تخالفا **dissimilation** أعطى نوعاً من التأثير الصوتي.

بـ- تجانست المقاطع أرقام: ١، ٥، ٨ ؛ لاعتمادها على صوت الهمزة، وتجانست المقاطع أرقام : ١، ٢ ،٤ ،٦ ،٨ ،٩ ؛ لاعتمادها على صوت اللام، وتجانست المقاطع أرقام :٢، ٤، ٦ ،٩ تجانسا مبعثه التماثل assimilation ؛ لأن كل مقطع هو نفس صاحبه، متوسط مفتوح معتمد على اللام ومتخذ من الحركة الأمامية المتسعة ما يكمله، وتجانست المقاطع أرقام :٣ ،٧، ١٠ ؛ لاعتمادها على صوت الهاء، كل هذه العوامل تساعد على انطلاق اللسان عند النطق، وتمنح السمع إحساساً بعذوبة النطق وجمال المنطوق.

٩- لأجْلِ تلك المعطيات سالفة الذكر جاء المطلع بنسيجه المقطعي المشار إليه، خاليا من التنافر والانعقاد، عندما تقرؤه تجده سهلا على اللسان، منحدرا كتحدر الماء المنسجم، وعندما تسمعه تجده خفيفا على الأذن، تشعر فيه بتآلف الأصوات في الكلمات، وتناسق الكلمات في الجمل، وتجد له إيقاعا ساحرا منبعثا من تناغم مقاطعه الصوتية، ولو تلوته في خشوع، يأخذك جمال ذلك الإيقاع، بما يحمل من نغم يبهر العقول، ويسترق الأسماع، ويستولى على الأحاسيس، ويُسِيل الدموعَ من مآقى العيون.

بـ النسيج المقطعي لآيات مطلع سورة السجدة

الم(١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ(٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ(٣) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ(٤) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ(٥) ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ(٧)

النسيج المقطعي لمطلع سورة السجدة

الآية الأولى: الـم (١)

احتوت هذه الآية على ثلاثة حروف مقطعة (الـم) تمثل عند التلاوة أربعة مقاطع صوتية متنوعة في الكم(ءَ – لِفْ - لَامْ- مِيمْ)، الأول مقطع قصير(ءَ)، والثاني مقطع متوسط(لِفْ)، والثالث (لام) والرابع (ميم) كلاهما مقطع طويل مُعْتَمِد على صامت أَغَنّ (م) وصائت طويل (ألف مدّ في المقطع الثالث - ياء مدّ في المقطع الرابع) اختُتِمَت بالرابع فاصلة الآية الأولى، فنتج عنه إيقاع عذب بسبب تجانسه مع المقطع الثالث (لام) السابق له، وتجانسه مع بقية فواصل آيات المطلع التالية له، وتجاوُب إيقاع السورة كلها معه، فكان لذلك الإيقاع أثرٌ على الآذان يدعوها للاستماع.

الآية الثانية: تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ(٢)

احتوت هذه الآية على(١٧) مقطعا: (تَنْ - زِيـ - لُلْ - كِـ - تَا – بِـ – لَا- رَيْ - بَ - فِيـ - ـهِ – مِنْ - رَ - بِلْ - عَا – لَ - مِينَ)، منها(٦) مقاطع من النوع الأول ص ح (كِـ - بِـ - بَـ - ـهِ – رَ – لَ) و(٥) مقاطع من النوع الثاني ص ح ح (زِيـ - تا – لا – فِيـ - عا) و(٥) مقاطع من النوع الثالث ص ح ص (تَنْ - لُلْ - رَيْ - مِنْ - بِلْ) ومقطع واحد من النوع الرابع ص ح ح ص (مِين)

الآية الثالثة: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ(٣)

احتوت هذه الآية على(٤١) مقطعا: (أَمْ - يَـ - قُو- لُو- نَفْـ - تَـ - رَاه - بَلْ - هُـ - وَلْـ - حَقْـ - قُ- مِنْ- رَبْـ - بِـ - كَ - لِـ - تُنْـ - ذِ- رَ- قَوْ - مَنْ – ما – أَ - تَا – هُمْ – مِنْ - نَـ - ذِيـ - رِنْ – مِنْ - قَبْـ - لِـ - كَ - لَـ - عَلْـ - لَـ - هُمْ - يَهْـ - تَـ - دُونَ) تتنوع على النحو التالي: (١٦) مقطعا من النوع الأول ص ح، و(٥) مقاطع من النوع الثاني ص ح ح، و(١٨) مقطعا من النوع الثالث ص ح ص، ومقطعان من النوع الرابع ص ح ح ص (رَاه – دُونَ " في حالة الوقف عليهما").

الآية الرابعة: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ(٤)

احتوت هذه الآية على(٦٠) مقطعا: (أَلْ - لا – هُلْ – لَـ - ذِي – خَـ - لَـ - قَ سـ – سَـ – مَا - وَا - تِ – وَلْ - أَرْ – ضَ - وَ - مَا – بَيْـ - ـنَـ - ـهُـ - ـمَا – فِي - سِتْ - تَـ - ةِ – أَيْ - يَا - مِنْ - ثُمْ - مَسْـ - تَـ - وَى – عَـ - لَلْ - عَرْ – شِ - مَا – لَـ - كُم – مِنْ – دُو - نِـ - هِ – مِنْ – وَ – لِيْـ - يٍ – وَ - لَا – شَـ - فِيـ - ـعٍ – أَ – فَـ - لَا - تَـ - ـتَـ - ذَكْـ - كَـ - رُونْ) تتنوع على النحو التالي: (٢٥) مقطعا من النوع الأول ص ح، و(١٥) مقطعا من النوع الثاني ص ح ح، و(١٩) مقطعا من النوع الثالث ص ح ص، ومقطع من النوع الرابع ص ح ح ص (رُونْ)

الآية الخامسة: يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ(٥)

احتوت هذه الآية على (٤٢) مقطعا: (يُ - دَبْ - بِـ - رُلْ - أَمْ - رَ – مِـ - نَسْـ - سَـ - مَا – ءِ - إِ – لَلْ - أَرْ - ضِ – ثُمْ - مَ - يَعْـ - رُ - جُ – إِ – لَيْـ - هِ - فِي – يَوْ - مٍ – كَا – نَ - مِقْـ - دَا - رُ - هُ – أَلْ - فَ - سَـ - نَـ - ةٍ - مِمْـ - ما - تَـ - عُدْ - دُونْ) تتنوع على النحو التالي: (٢٠) مقطعا من النوع الأول ص ح، و(٥) مقاطع من النوع الثاني ص ح ح، و(١٦) مقطعا من النوع الثالث ص ح ص، ومقطع من النوع الرابع ص ح ح ص (رُونْ)

الآية السادسة: ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(٦)

احتوت هذه الآية على (١٨) مقطعا: (ذَا – لِـ - كَ – عَا – لِـ - مُ لْ - غَيْـ - بِ – وَشْـ - شِـ - هَا – دَ – ةِلْ - عَـ - زِيـ - زُرْ – رَ - حِيمْ) تتنوع على النحو التالي: (٨) مقاطع من النوع الأول ص ح، و(٤) مقاطع من النوع الثاني ص ح ح، و(٥) مقاطع من النوع الثالث ص ح ص، ومقطع من النوع الرابع ص ح ح ص (حِيمْ)

الآية السابعة: الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ(٧)

احتوت هذه الآية على (٢٤) مقطعا: (أك - لَـ - ذِي – أَحْـ - سَـ - نَ - كُلْ - لَ - شَيْـ - ءٍ – خَـ - لَ - قَهْ - وَ – بَـ - دَ - أَ – خَلْ - قَلْ - إِنْ - سَا - نِ -مِنْ - طِينْ) تتنوع على النحو التالي: (١١) مقطعا من النوع الأول ص ح، ومقطعان من النوع الثاني ص ح ح، و(١٠) مقاطع من النوع الثالث ص ح ص، ومقطع من النوع الرابع ص ح ح ص(طِينْ)

بالنظر في مطلع سورة السجدة ونسيج مقاطع آياته نلاحظ ما يلي:

١- تضمن مطلع سورة السجدة ثلاثة أمور، أولها: الابتداء بالأحرف المقطعة (الم) إشارةً إلى أن القرآن المُتَنَزَّل على الرسول من جنس تلك الأحرف، وثانيها: تنزيه الرسول عن اختلاق القرآن (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ)، والثالث: بيان ما لصاحب التنزيل من صفات كالقدرة (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) والهيمنة على الكون وتدبير أموره (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ - يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ) والعلم (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) والقوة والرحمة (الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) والإبداع (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ)، ذَكَر الله تلك الصفات ليلفت نظر الكفار إلى قدرته سبحانه وتعالى على البعث الذي يكذبون به، لشكّهم في العودة إلى الحياة بعد تفرُّق ذراتهم في التراب (وقالوا أإذا ضَلَلْنَا في الأرضِ أإنا في خَلْقٍ جَدِيد)؛ لأن السورة تتناول قضية البعث.

٢- جاءت آيات المطلع من الناحية الصوتية في صورة بناء لغوي محكم، يتميز بنسيج مقطعي متناغم، فيه انسجام صوتي ملموس، وله إيقاع فني متوائم مع الدلالة المنبثقة عنه.

٣- يمتاز الإيقاع الصوتى فى مطلع سورة السجدة بتنوع المقاطع ما بين قصيرة ومتوسطة وطويلة، لينحو بذلك منحى مغايرا تماما لما عليه إيقاع مطلع سورتي الضحى والنجم، حيث يتسم إيقاع مطلع سورة السجدة

بالهدوء واللين والطول والانسيابية، ليتناسب مع الحالة التقريرية التى يعبر عنها، حيث الجمل الخبرية (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ - اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ - ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ - مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ - يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ - ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ - ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ - الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ - وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ)

الجدول النوعي لمقاطع مطلع سورة السجدة من حيث الطول والقصر

نوع المقطع	عدده	نسبته المئوية
مقطع قصير	٨٧	٤٢% تقريبا
مقطع متوسط	١١٠	٥٣% تقريبا
مقطع طويل	٨	٤% تقريبا
المجموع	٢٠٥	١٠٠% تقريبا

٤- زَكَّت الفاصلةُ – المختومة بالميم أو النون المسبوقين بالصائت الطويل - الإيقاعَ الهادئَ بنغمتها الإيقاعية المتئدة التى تساعد على الترخيم والترنم.

٥- اعتمدت آيات مطلع سورة السجدة في نسيج مقاطعها على المقاطع المفتوحة أكثر مما اعتمدت على المقاطع المغلقة، مما جعلها أوضح في السمع.

الجدول النوعي لمقاطع مطلع سورة السجدة من حيث الانفتاح والانغلاق

نوع المقطع	عدده	نسبته المئوية
مقطع مفتوح	١٢٣	٦٠% تقريبا
مقطع مغلق	٨٢	٤٠ % تقريبا
المجموع	٢٠٥	١٠٠ %

٦- لم تعتمد آيات مطلع سورة السجدة في نسيجها على الحركة الخلفية القصيرة الضيقة **close**، بل اعتمدت على الحركة الأمامية الطويلة، أي اعتمدت على الصائت الأمامي المتسع **open** مع اختلاف كمه ما بين طويل وقصير، وهو أوضح الصوائت في السمع مما ساعد على وضوح المطلع.

الجدول النوعي للحركات التي اعتمدت عليها المقاطع في مطلع سورة السجدة

نوع الحركة	عددها	النسبة المئوية
متسعة أمامية " فتحة"	١٢٠	%٥٨
متسعة خلفية " كسرة "	٥٨	%٢٨
ضيقة خلفية " ضمة "	٢٧	%١٣
المجموع	٢٠٥	١٠٠% تقريبا

جـ-النسيج المقطعي لآيات مطلع سورة فصلت

حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ(٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ(٦)

الآية الأولى: حم (١)

احتوت هذه الآية على مقطعين صوتيين (حَ - مِيمْ) أولهما من النوع الأول (قصير مفتوح ص ح)، وثانيهما من النوع الرابع (طويل مغلق ص ح ح ص) مُعْتَمِد على صامت أَغَنّ (م) وصائت طويل (ياء مدّ) مثّل فاصلةً للآية الأولى، فنتج عنه إيقاعٌ عذبٌ بسبب تجانسه مع بقية فواصل آيات المطلع التالية له، وتجاوُب إيقاع السورة كلها معه، فكان لذلك الإيقاع أثرٌ على الآذان يدعوها للاستماع.

الآية الثانية: تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢)

احتوت هذه الآية على(١٠) مقاطع: (تَنْ - زِيـ - لُنْ – مِـ - نَ رْ – رَحْـ - مَا -نِ رْ – رَ - حِيمِ) تتنوع على النحو التالي: مقطعان من النوع الأول ص ح، ومقطعان من النوع الثاني ص ح ح، وخمسة مقاطع من النوع الثالث ص ح ص، ومقطع من النوع الرابع ص ح ح ص(حِيمْ)

الآية الثالثة: كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(٣)

احتوت هذه الآية على(٢٣) مقطعا: (كِـ - تَا – بٌ – فُصْـ - صِـ - لَتْ - ءَا – يَا – تُ - ـهُ – قُرْ – ءَا - نًا – عَـ - رَ – بِيـ - يًا – لِـ - قَوْ – مٍ - يَعْـ - لَـ - مُونَ) تتنوع على النحو التالي: (٨) مقاطع من النوع الأول ص ح، وخمسة مقطعان من النوع الثاني ص ح ح، و(٩) مقاطع من النوع الثالث ص ح ص، ومقطع من النوع الرابع ص ح ح ص(مُونْ)

الآية الرابعة: بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ(٤)

احتوت هذه الآية على(٢١) مقطعا: (بَـ - شِيـ - رًا - وَ – نَـ - ذِيـ - رًا – فَـ - أَعْـ - رَ – ضَ– أَكْـ - ثَـ - رُ - هُمْ – فَـ - هُمْ - لَا – يَسْـ - مَـ - عُونَ) (تتنوع على النحو التالي: (١٠) مقاطع من النوع الأول ص ح، وثلاثة مقاطع من النوع الثاني ص ح ح، و(٧) مقاطع من النوع الثالث ص ح ص، ومقطع من النوع الرابع ص ح ح ص(عُونْ)

الآية الخامسة: وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥)

احتوت هذه الآية على(٤٧) مقطعا: (وَ – قَا – لُو – قُ - لُو – بُـ - نَا – فِي – أَ – كِنْ - نَـ - ةٍ – مِمْـ - ما - تَدْ – عُو - نَا - إِ – لَيْـ - هِ - وَ -- فِي – آ – ذَا – نِـ - نَا – وَقْـ - رٌ - وَ – مِنْ – بَيْـ - نِـ - نَا – وَ – بَيْـ - نِـ - كَ – حِـ - جَا - بٌ – فَعْـ - مَلْ – إِنْـ - نَا – عَا – مِـ - لُونَ) تتنوع على النحو التالي: (١٦) مقطعا من النوع الأول ص ح، و(١٦) مقطعا من النوع الثاني ص ح ح، و(١٤) مقطعا من النوع الثالث ص ح ص، ومقطع من النوع الرابع ص ح ح ص(لُونْ)

الآية السادسة: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ(٦)

احتوت هذه الآية على(٤٩) مقطعا: قُلْ – إِنْ - نَ - مَا – أَ - نَا – بَ - شَ - رٌ - مِثْ - لُ - كُمْ – يُو - حَى – إِ – لَيْ - يَ - أَنَ - نَ - مَا – إِ – لَا – هُ -كُمْ – إِ – لَا - هٌ - وَا – حِ - دٌ – فَسْ - تَ - قِيـ - مُو – إِ – لَيْ - هِ – وَسْ - تَغْ - فِ - رُو - هُ – وَ- وَيْ - لٌ - لِلْ - مُشْ - رِ –كِينَ) تتنوع على النحو التالي: (١٩) مقطعا من النوع الأول ص ح، و(١١) مقطعا من النوع الثاني ص ح ح، و(١٨) مقطعا من النوع الثالث ص ح ص، ومقطع من النوع الرابع ص ح ح ص(كِينْ)

بالنظر في مطلع سورة فصلت ونسيج مقاطع آياته نلاحظ ما يلي:

١- استُهِلَّت سورة فصلت بحرفَين من الأحرف المقطعة (حم)، يمثلان عند التلاوة مقطعين صوتيين (حَا - مِيمْ)، الثاني منهما مقطع طويل مغلق يشاكل ما بعده من رءوس آيات المطلع، فيترتب على ذلك إيقاعٌ له دوره الجمالي والدلالي.

٢- مثَّل الحرف الثاني من الأحرف المقطعة التي استُهِلَّت بها سورة فصلت مقطعا صوتِيًا طويلا مغلقا مُعْتَمِدا على الصامت الأغنّ (م) والصائت الخلفي المتسع (الكسرة)، وجاء متماثلا مع مقطع فاصلة الآية الثانية التالية له مباشرةً، ليُمَهد لفاصلة السورة، حتى تأتي متمكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة([٢٦]).

٣- اعتمدت آيات مطلع سورة فصلت في نسيج مقاطعها على المقاطع المفتوحة أكثر مما اعتمدت على المقاطع المغلقة، مما جعلها أوضح في السمع.

الجدول النوعي لمقاطع مطلع سورة فصلت من حيث الانفتاح والانغلاق

نوع المقطع	عدده	نسبته المئوية
مقطع مفتوح	٩٣	%٦١
مقطع مغلق	٥٩	%٣٩
المجموع	١٥٢	%١٠٠

٤- اعتمدت آيات مطلع سورة فصلت في نسيج بِنْيَتِها على الصائت الأمامي المتسع **open** مع اختلاف كمه ما بين طويل وقصير، وهو أوضح الصوائت في السمع، مما ساعد على وضوح المطلع.

الجدول النوعي للحركات التي اعتمدت عليها المقاطع في مطلع سورة فصلت

نوع الحركة	عددها	النسبة المئوية
متسعة أمامية " فتحة "	٨٠	%٥٢
متسعة خلفية " كسرة "	٣٩	%٢٦
ضيقة خلفية " ضمة "	٣٣	%٢٢
المجموع	١٥٢	%١٠٠

٥- تمَيَّز مطلع سورة السجدة بِبِنْية إيقاعية، يحس بها مَنْ يَسْمَع المطلع أو يقرؤه، وتبعث فى نفسه هزاتٍ داخلية، وقد حدث ذلك مع عتبة بن ربيعة عندما سمع آيات هذا المطلع من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتأثرت بإيقاعها نفسُهُ، وانعكس التأثير على قسمات وجهه، ولحظ ذلك التأثيرَ الملأُ من قريش لما عاد إليهم من عند رسول الله، وقد أرسلوه ليساومه على ترك الدعوة، فقالوا: لقد عاد أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به([٢٧]).

دلالة استهلال مطالع سور طه والسجدة وفصلت بالأحرف المقطعة.

افتُتِحَت سُوَر طه والسجدة وفصِّلت بالأحرف المقطعة، كما افتُتِحَ بها عددٌ غير قليل من السور المكية([٢٨])، وقد أُثِيرَ– قديما – جدلٌ واسعٌ حول هذه الأحرف، فلم يخلُ كتاب تفسير من التعرض لها، حتى ذُكِر في تأويلها أكثر من عشرين وجها([٢٩])، يُمْكِننا إرجاع وجوه تأويلها إلى قولين:

الأول: أنها سِرٌّ محجوب وعِلْمٌ مستور استأثر الله به، يجب الإيمان بها، ولا ينبغي التكلم فيها.

الثاني: أنها أحْرُفٌ ذوات دلالة يجوز التكلم فيها، فتُفَسَّر ويُلْتَمَس لها التأويل.

لكن سواءٌ أكانت تلك الأحرف سرا محجوبا أم أمرا معلوما، فإنها سِيقت على المستوى الصوتي في نظمٍ بديع، على هيئة مقاطع صوتية متناسقة، مُحَبَّبَة إلى الأسماع، حيث ابتُدِئت سورة طه بحرفَين من الأحرف المقطعة (طه) يمثلان عند التلاوة مقطعَين صوتِيَّين مفتوحَين متماثلَين في الكم، مُعْتَمِدَين على الحركة الأمامية المتسعة (طا - ها)، يشاكلان ما بعدهما من رءوس آيات المطلع، فيترتب على تلك المشاكلة إيقاعٌ عذب، تنفتح له أذن المستمع وتتجاوب معه عواطفه، واستُهِلَّت سورة فصلت بحرفَين من الأحرف المقطعة (حم)، يمثلان عند التلاوة مقطعين صوتيين (حَا - مِيمْ)، الثاني منهما مقطع طويل مغلق يشاكل ما بعده من رءوس آيات المطلع، فيترتب على ذلك إيقاعٌ له دوره الجمالي والدلالي، واستُهِلَّت سورة السجدة بثلاثة أحرف مقطعة (الم) تمثل عند التلاوة أربعة مقاطع صوتية متنوعة في الكم، الأول مقطع قصير مفتوح (ءَ)، والثاني مقطع متوسط مغلق(لِفْ)، والثالث مقطع طويل مغلق (لام) والرابع مقطع طويل مغلق مُعْتَمِد على صامت أَغَنّ(ميم) اختُتِمَت به فاصلة الآية الأولى، ينتج عنه إيقاع عذب؛ بسبب تجانسه مع المقطع الثالث (لام) السابق له من ناحية، وتجانسه مع بقية فواصل الآيات التالية له (مِيْنْ- دُوْنْ – رُوْنْ) من ناحية أخرى، فيترتب على ذلك إيقاعٌ يجذب الآذان للاستماع، لذا،

يُعَدّ ابتداء تلك السور بالأحرف المقطعة: (طه – حم - الم) براعةً في الاستهلال؛ لأنها صِيغت في هيئة نسيج صوتي متوائم ومتناغم يتناسب – عند الأداء - مع الفاصلة حيث يُمَهد لها، حتى تأتي متمكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، هذا من ناحية، ويخدم ما سيقت الأحرف ذاتها لأجله من ناحية أخرى، وقد سيقت في المقام الأول لأجل الإغراء بسماع القرآن والتوفر على الإنصات له، كهدفٍ قريبٍ يُوَصِّل إلى غاية بعيدة مقصودة، أَلَا هي شَرْحُ الصدور للإسلام، وترقيقُ القلوب للإيمان([٣٠]).

ليس هذا كل ما يتحقق من استهلال السور القرآنية بتلك المقاطع الصوتية المتناسقة، بل لاستهلال السور القرآنية بالأحرف المقطعة دلالات عديدة، يمكن إجمالها فيما يلي:

١- جَذْبُ انتباه العرب ولفت أنظارهم إلى القرآن الكريم بما يحمل من خير.

لأنهم كانوا إذا سمعوا القرآن أعرضوا عن الإنصات له، ولغوا فيه (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُم تَغْلِبُون. فصلت:الآية٢٦) فأنزل الله هذا النظم البديع ليعجبوا منه، ويكون تعجبهم سببا لاستماعِهم، واستماعُهم سببا لاستماع ما بعده، يقول أبو هلال العسكري ت٣٩٥هـ: " وإذا كان الابتداء حسنا بديعا ومليحا ورشيقا كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام، ولهذا المعنى يقول الله تعالى: الم - حم – طس- طسم – كهيعص فيقرع أسماعهم بشيء بديع ليس بمثله عهد؛ ليكون ذلك داعية لهم إلى الاستماع لما بعده([٣١])".

٢- التأكيد على عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن.

ذلك بعد إسماعهم أصوات الحروف التي تألَّف منها القرآن، لأن في الأحرف المقطعة إشارة إلى أن القرآن مُرَكَّبٌ من نفس الأصوات التي يتكلمون بها والحروف التي يبنون منها كلامهم، دليل ذلك ما ذكره السلف من أنَّ كل سورة استُهِلَّت بالأحرف المقطعة تلاها ذكر الكتاب أو القرآن أو التنزيل، انتصارا للقرآن وبيانا لإعجازه([٣٢]).

٣- مخاطبة الوجدان والعواطف.

ذلك بالتركيز على دور حاسة السمع فى عمليتي الإدراك والتواصل، تلك الحاسة التي تحمل إلى العقل والوجدان وتوصِّل إليهما ما تعجز عن حمله وتوصيله أية حاسة أخرى، فالأحرف المقطعة - عند تلاوتها - تغزو الأذن بإيقاعها الصوتي فتلتذ الأذن بإيقاعها وتطرب له، ثم تحمل ذلك إلى الوجدان، ولعل هذا الدور هو الذي جَعَلَ القرآن الكريم يقدمها على حاسة البصر فى أكثر من موضع فى سُوَره([٣٣])، ويتوجَّه إليها بأسلوب يسترعيها ويدعوها إلى الإصغاء، لتحمل إلى العقل والوجدان ما يدعوهما إلى الانفعال بالمسموع، فيتجاوب مع انفعالهما كيانُ الإنسانِ كلُّه، بما فيه من مشاعر وعواطف، فاستَهَلّ آيات مطالع بعض سوره بالأحرف المقطعة المُساقة في نسيج صوتي مُتَّسِق؛ ليجذب الآذان لسماعها وسماع ما يُتْلَى بعدها.

الرابعة: الإيقاع المقطعي والإيقاع التركيبي في مطالع السور

لعل أوضح ما في القرآن المكي- أي ما نزل بمكة - أنه دعوة إلى الإيمان بالله والسير في طريق الصلاح، وترك الكفر وطُرُق الضلال، من أجل هذه الدعوة صِيغت لغته من الناحية الصوتية بكيفيات خاصة، فمطالع السور المكية على سبيل المثال - بحكم وظيفتها والغاية منها – غالبا ما تفضل الاعتماد على المقاطع المتقاربة والجمل البسيطة القصيرة التي تأذن بقدر من الإيقاع؛ ليكون الإيقاع معينا على جذب انتباه السامع إليها وتجاوبه معها، ومناط الإيقاع إنما هو النبر وكميات الجمل، أما النبر فيكمن في إظهار جزء من النطق على ما عداه، ذلك بواسطة تسليط قدر من النفس على الأوتار الصوتية في نطق مقطع من مقاطع الكلمة أكبر مما يكون مسلطا على الأوتار الصوتية في أثناء نطق المقاطع الأخرى، وكلما انتظمت المسافات بين نبر ونبر فتطابقت أو تقاربت كان من نتائج انتظامها أو تقاربها حُدُوثُ الإيقاع، هذا ما لمسناه في النسيج المقطعي لمطالع السور التي يتناولها البحث، حيث:

١- اعتمدت سور الضحى والنجم وطه في جميع نسيج بنياتها على المقاطع القصيرة والمتوسطة، واعتمدت سورتا السجدة وفصلت في معظم نسيج بنياتها على المقاطع القصيرة والمتوسطة أيضا، وانتظام المسافات بين المقاطع المنبورة أحدث إيقاعا تميزت به مطالع هذه السور.

٢- انتهت كلمات فاصلة سور االضحى والنجم وطه بمقطع متوسط ص ح ح، وقع النبر على المقطع السابق له مباشرة، وانتهت فاصلة سورتَي السجدة وفصلت بمقطع طويل ص ح ح ص، وقع النبر عليه، وكلما تكرر النبر مع فاصلة كل آية، وتقاربت المسافات بين نبر مقطع الفاصلة ونبر مقطع الفاصلة السابق له واللاحق به، نشأ عنه إيقاع عذب.

٣- يضاف إلى هذا الإيقاع المقطعي إيقاعٌ آخر تركيبي، تتميز به مطالع السور المكية، نشعر به عند الوقف على رءوس الآي - كما في السور التي تناولها البحث - ينبع من قصر الجمل، إذ تبدو عند النطق أثيرةً في الآذان، لا ترسف في قيود الموصولات وصلاتها الطويلة، ولا في الجمل الحالية عند إمكان الحال المفردة، ولا في الجمل الوصفية عند إمكان النعت المفرد ولا ..... إلخ، ولأنها تخاطب الأذن في المقام الأول فإنها تتوخى بعض المعايير في أسلوبها، حتى تكون مؤثرة في السمع، أَوْضَح هذه المعايير قِصَر الجمل.

نتائج البحث

١- تتصف مطالع السور المكية بالاتساق الصوتي، والاعتماد على خاصية فنية جوهرية، هى خاصية الإيقاع الصوتى، هذه الخاصيةُ منحت المطالعَ قيمةً جمالية، وميزت أسلوب القرآن دون سائر النصوص الأدبية، وجعلته لا يمل على طول التلاوة أو كثرة الرد.

٢- اعتماد بنية مطالع السور المكية على خاصية الإيقاع الصوتى، جعلت المطالع لا تخاطب العقل فقط، بل تخاطب العقل والوجدان معا، ذلك عن طريق قرع الأسماع وغزوها بالإيقاع الصوتى؛ إغراءً بسماع ما يُتْلى

أولا، والتوفر على سماع ما يأتي بعده، فيتم تأثر العواطف بالمسموع وتجاوبها معه.

٣- مثّل الإيقاع الصوتى فى مطالع السور المكية لونا جماليا يمكن تذوقه من خلال:

- براعة الاستهلال بالأحرف المقطعة.
- قِصر الآيات، وما يرتبط بالوقف على رءوسها من نبر تركيبي منتظم المسافات، كما رأينا فى مطالع سور طه والسجدة وفصلت والنجم والضحى.
- تناغُم الأصوات التى تكونت منها المطالع والتحامها فيما بينها لتشكيل نسيج منظم وهادف، تصدر عنه نغمات منتظمة تكسب التعبير جمالا لا نظير له، لذا ، لمَّا استعنت بالإيقاع العروضى لتحديد الملامح النغمية لمطالع السور المعنية بالبحث وأخضعت آياتها للتحليل الإيقاعى، وجدت إيقاعها يناظر إيقاع بحر الكامل المتميز بنغمة واحدة متكررة (متفاعلن) قوامها مقاطع قصيرة ومتوسطة (مُتْ - فَا- عِ – لُنْ).
- الفاصلة وتفاعلها وانصهارها مع نسيج المطالع، بسبب ما يترتب على تكرُّرها من صدور نغمات تدخل إلى النفس من منافذ شتى، فتعمِّق الإحساس بمضمون الآيات المُذَيَّلة بالفاصلة.

٤- انحصر نسيج بِنْيَة مطلع سورتَي الضحى والنجم فى المقاطع صغيرة الكم (القصيرة والمتوسطة) التى تساعد على زيادة الحركة وتواليها، مما جعل إيقاعها سريعا، تزكي سرعتَه طبيعةُ الآيات، فالآيات قصيرة تجعل الإيقاع وثبا موسيقيا لاهثا.

٥- يتناسب إيقاع مطلع سورتي الضحى والنجم مع مضمون آياته، حيث يسير بصورة عجلى ليصل إلى إبراز المضمون فى أسرع وقت، فيجرى بـ (والضحى والليل إذا سجى) سريعا للوصول إلى (ما ودعك ربك وما قلى)

ويجرى بـ (والنجم إذا هوى) سريعا للوصول إلى (ما ضل صاحبكم وما غوى).

٦- يمتاز الإيقاع الصوتى فى مطلع سورتي فصلت والسجدة بغلبة المدود وتنوع المقاطع ما بين قصيرة ومتوسطة وطويلة، لينحو بذلك منحى مغايرا تماما لما عليه إيقاع مطلع سورتي الضحى والنجم، حيث يتسم إيقاع مطلع سورتي فصلت والسجدة بالهدوء واللين والطول والانسيابية، بما يتناسب مع الحالة التقريرية التى يعبر عنها، حيث الجمل الخبرية الكثيرة، وتدعم الفاصلةُ – المختومة بالميم أو النون المسبوقين بالصائت الطويل- الإيقاعَ الهادئَ بنغمتها الإيقاعية المتئدة التى تساعد على الترخيم والترنم.

٧- وظَّف القرآنُ خاصيةَ الإيقاع الصوتى فى مطالع السور المكية توظيفا جيدا، فجاءت- كما رأينا فى مطالع سور طه والسجدة وفصلت والنجم والضحى- بِنْيَتُها إيقاعيةً جذابةً مُؤَثِّرَةً، تبلغ أعمق مواطن التأثير فى المتلقى، يحس بها مَنْ يَسْمَع المطالع أو يقرؤها وتبعث فى نفسه هزاتٍ داخلية، وقد حدث ذلك مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما سمع مطلع سورة طه فأسلم، وحدث مع عتبة بن ربيعة عندما سمع مطلع سورة فصلت من رسول الله فتأثرت به نفسه، وانعكس التأثير على قسمات وجهه، فقال الملأ من قريش لما رأوه عائدا من عند رسول الله وقد أرسلوه ليساومه على ترك الدعوة: لقد عاد أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به.

٨- لا يجرى القرآن الكريم في وَقْعِهِ على الأذن وفق نمط واحد رتيب، بل يتنوع بتنوع الموضوعات والمواقف، فتارة يكون إيقاعه هادئا، كما فى سورتي السجدة وفصلت، وتارة يكون سريعا كما فى سورتي النجم والضحى، وتارة يكون وسطا بين السرعة والهدوء كما في سورة طه([٣٤])، فهو يتلون بتلون الأغراض الدلالية، من أجل ذلك أمر الله سبحانه وتعالى بترتيله، أى قراءته بشيء من التروى؛ حتى تستبينَ أصواتُه، ويظهر إيقاعُه الذى يفتح أمامه الطريقَ إلى غزو الأسماع ومخالطة القلوب والتأثير فى النفوس.

٩- من هذه الدراسة نستطع أن نعرف - بطريقة علمية وملموسة - مِنْ أين ينبع جمال الصوت القرآني، بعدما كنا قديما نُحِسُّه ولا نلمسه، ونُقِرُّ به ولا ندرك كنهه، ويحق لنا أن نقول: إن جمال الصوت القرآني ناجمٌ عن البنية الإيقاعية التي تميز بها القرآن الكريم.

١٠- البنية الإيقاعية التي تميز بها أسلوب القرآن الكريم تُسهم في إلقاء الضوء على عدة أمور حدثت للعرب الذين عاصروا نزول القرآن، وكان تفسيرها غامضا إلى عهد قريب، حيث تسهم في:

أ- توضيح سر تأثير القرآن في نفوس العرب.

من المعروف تاريخيا أن القرآن حين نزل أَثَّر في نفوس كثير من العرب، حتى كان لا يمر يوم دون أن ينضم إلى صفوف المسلمين مؤمن جديد، ومن أشهر ما روي عن ذلك التأثير: إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عقب سماعه كلام الله تعالى في مطلع سورة طه([٣٥])، وإسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ رضي الله عنهما عقب سماعهما آيات القرآن من مصعب بن عمير رضي الله عنه([٣٦])، وما روي عن إسلام النفر الذين حضروا موسم الحج من الأنصار، عقب قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن عليهم وعودتهم إلى المدينة، وإظهارهم الدين فيها، حتى لم يبق من بيوت الأنصار بيت إلا فيه قرآن، فقيل فتحت الأمصار بالسيوف وفتحت المدينة بالقرآن([٣٧]).

ب - تبيين سبب وقوع صناديد قريش وقادتها في حيرة من تأثير القرآن، وسبب ذهابهم إلى بيت محمد ﷺ ليلا ليسترقوا السمع وهو يتهجد([٣٨]).

جـ- البوح بما استرعى انتباه فصحاء قريش- كعتبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وغيرهما - وبهرهم عند سماع القرآن، وجعلهم يُقِرُّون ويعترفون بأنه كلام معجز لا يستطيعه بشر.([٣٩]).

د- توضيح سِرّ تواصي أئمة قريش بعدم سماع القرآن وصرف الناس عن سماعه([٤٠])، فيما عبَّر عنه القرآن بقوله تعالى: وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون {سورة فصلت آية ٢٦}، إنهم لا

يتواصون بذلك إلا للتخلص من تأثير القرآن الناجم عن بنيته الإيقاعية وجماله الصوتي.

هـ- تفسير سر عجز العرب عن التحدي، وسبب إخفاق مَنْ حاول منهم معارضة القرآن.

كمثل ما حُكِيَ عن مسيلمة من قوله: يا ضفضع نقي كم تنقين، لا الماء تكدرين ، ولا الوارد تنفرين، زاعما أنه يعارض أسلوب القرآن وفواصل آياته - كما في سورتَي السجدة وفصلت - بكلام غث متكلف لأجل ما فيه من السجع([41]) ، وكمثل ما حُكِيَ من قول بعضهم: ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى. أخرج منها نسمة تسعى. بين شراشيف وحشى([42])، زاعما أنه يعارض كلمات القرآن وفواصل آياته - كما في سور الضحى والنجم وطه - بجمل مسجوعة، عند تحليلها صوتيا يتضح أن قائلها استرق جملتيه الأولى والثانية من كلام الله تعالى([43])، وأتى فقط بالجملة الثالثة (بين شراسيف وحشى) التي أظهرت عَجْزَه حينما كرر فيها صوت الشين، وجمع بينه وبين السين في كلمة (شراسيف)، وهما متقاربان مخرجا وصفة([44]) فجاءت الكلمة ثقيلة على اللسان([45])، بعيدة عن الفصاحة([46])، غريبة، وحشية، لا يظهر معناها إلا بالنقر عنه فى كتب اللغة([47])، وجاءت معارضته عبارة عن تكوين صوتي مستهجن، قائم على السجع، خالٍ من الفائدة، بعيد عن الانسجام، لا يُقَارَن بأسلوب القرآن المتميز بحسن التأليف، وتمام الإحكام، وروعة الانسجام.

وفي هذا دلالةٌ على أن الكفار رغم أنهم كادوا للرسول صلى الله عليه وسلم بكل ضروب الكيد، لكنهم عجزوا في البيان، فلم يقدروا أن يكيدوا له بمعارضة كتابه؛ لاعتماد القرآن الكريم على بنية لغوية متميزة، لا يستطيع معارضتها أحد، لأنها فوق طاقة البشر جميعا.

مصدر البحث ومراجعه

- القرآن الكريم.
١. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي, تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة ١٩٧٥م.
٢. الأصوات العربية للدكتور كمال بشر، مكتبة الشباب ١٩٨٧م.
٣. الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس, مكتبة الأنجلو المصرية, الطبعة السادسة١٩٨١م
٤. أصوات اللغة للدكتور عبد الرحمن أيوب، مطبعة دار التأليف، طبعة ١٩٦٣م.
٥. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دراسة لغوية قرآنية بيانية، للدكتور عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
٦. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، ضبط وتقديم د/محمد علي سلامة، دار الصحوة للنشر والتوزيع،الطبعة الأولى١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٧. الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، دار الجيل، بيروت "بدون تاريخ".
٨. البداية والنهاية لابن كثير، طبعة مطبعة السعادة سنة١٣٥١هـ.
٩. بيان إعجاز القرآن للخطابي, ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن, تحقيق الدكتورين محمد خلف الله, محمد زغلول سلام, طبعة دار المعارف بمصر.
١٠.التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي, قدم له هاني الحاج، وحققه وعلق عليه عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
١١.التفكير الصوتى عند الخليل، للدكتور حلمى خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الأولى ١٩٨٨م
١٢.الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٥م.
١٣.الخليل بن أحمد الفراهيدى، أعماله ومنهجه، للدكتور مهدى المخزومى دار الرائد العربى، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

١٤.الدلالة الصوتية، دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل للدكتور كريم زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٥.الرسالة الشافية لعبد القاهر الجرجاني, ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن, تحقيق الدكتورين محمد خلف الله, محمد زغلول سلام, طبعة دار المعارف بمصر.
١٦.سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، الطبعة الرحمانية، القاهرة ١٣٥٠ه - ١٩٣٢م.
١٧.السيرة النبوية لابن هشام ،مطبعة الحلبي ١٩٥٥م.
١٨.الصناعتين، الكتابة والشعر لأبي الهلال العسكري، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ -١٩٨١م
١٩.علم الأصوات للدكتور حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، القاهرة٢٠٠٤م.
٢٠.علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دكتور محمود السعران، طبعة دار الفكر العربي، بدون تاريخ.
٢١.في التطور اللغوي للدكتور عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة للطباعة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٢٢.في اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة التاسعة ١٩٩٥م
٢٣.الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٢٤.اللغة العربية معناها ومبناها، للدكتور تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة السادسة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م
٢٥.المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب, نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة, طبعة أولى ١٤٠٤ه-١٩٨٣م

٢٦.مدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمي حجازي، القاهرة ١٩٧٨م.
٢٧.المزهر في علوم اللغة للسيوطي، مطبعة السعادة بمصر ١٤٢٥هـ
٢٨.المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، طبعة وزارة التربية والتعليم، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٢٩.المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة دار الشروق الدولية، الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٣٠.مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان, ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة مطبعة الرسالة ١٩٥٥م.
٣١.المنهج الصوتى للبنية العربية للدكتور عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، طبعة بيروت١٩٨٠م
٣٢.النكت في إعجاز القرآن للرماني, ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن, تحقيق الدكتورين محمد خلف الله, محمد زغلول سلام, طبعة دار المعارف بمصر.

الهوامش والإحالات :

(١) أمَّا من حيث المضمون، فالمطالع الخمسة تخاطب العرب سواءٌ بالأحرف المقطعة أم بغيرها، وتحمل في نفس الوقت رسائل إلهية موجَّهة إلى شخص رسول الله ﷺإمَّا تهوينا على نفسه كما في سورة طه (مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى)، وإمَّا تنزيها لشخصه عن الافتراء كما في سورة السجدة (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ)، وإمَّا تثبيتا لفؤاده كما في سورة فصلت (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُم يُوحَى إِلَيَّ)، وإمَّا ثناءً على خلقه كما في سورة النجم (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى)، وإمَّا تطمينا لقلبه كما في سورة الضحى (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)، وأَمَّا من حيث الشكل، فالمطالع الخمسة تقاربت عن طريق الاعتماد على الصائت الطويل في الفاصلة، حيث انتهت فواصل مطالع سور طه والنجم والضحى بصامت يعقبه صائت طويل (حركة مفتوحة طويلة)، وانتهت فواصل مطلعي

السجدة وفصلت بصامت يسبقه صائت طويل (حركة طويلة مكسورة أو مضمومة).

(٢) الدلالة الصوتية صـ١٧٣

(٣) الدلالة الصوتية صـ ١٧٣- ١٧٤

(٤) وقد فطن اللغويون القدماء إلى دور الصوائت في الجانب البنائي، فجمعوا الكلمات التي اتحدت أو تشابهت في الأصل والوزن وترتيب الصوامت واختلفت في حركة فائها أو عينها ووضعوها في مصنفات خاصة تحت عنوان المثلث، وقد وصل إلينا من هذه المصنفات: المثلث لقطرب ت٢٠٦هـ والمثلث للبطليوسي ت٤١٢هـ وإكمال الإعلام بمثلث الكلام لابن مالك ت٦٧٢هـ

(٥) يُرجع فى ذلك إلى كتابَىْ : الخليل بن أحمد الفراهيدى، أعماله ومنهجه للدكتور مهدى المخزومى صـ ٥٦- ١٥٨ والتفكير الصوتى عند الخليل للدكتور حلمى خليل.

(٦) انظر الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس صـ ٢٦، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي للدكتور محمود السعران صـ ١٨٤، والمدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب صـ ٤٢.

(٧) الصوائت العربية نوعان: صوائت قصيرة أطلق عليها القدماء مصطلح الحركات (الفتحة – الكسرة – الضمة)، وصوائت طويلة سموها حروف المد واللين – كالألف فى " قال" والواو فى" يقول" والياء فى" القاضى" سماها الخليل الحروف الهوائية أو حروف الجوف. انظر العين تحقيق دكتور مهدي المخزومي، ودكتور إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والمعارف ٥٧/١

(٨) تقوم الصوائت على المستوى الصوتى بدور الوصل بين الأصوات الصامتة، كما تقوم بوظائف دلالية فى بنية الكلمة فى المستوى الصرفى، إذ تمثل الصوامت الجانب الثابت الذى يؤلف هيكل الكلمة، وتمثل هى الجانب المتغير الذى يحدد صيغتها ويمنحها معناها، وبذلك تزداد قيمتها باعتبارها العامل الحاسم فى خلق الكلمة العربية، وفى المستوى التركيبى تقوم بوظائف نحوية كعلامات إعرابية فى آخر الكلمة. المنهج الصوتى للبنية العربية للدكتور عبد الصبور شاهين صـ ٤٣

(٩) وقد فطن القدماء إلى الدور الذى تؤديه الصوائت فى تشكيل العربية، فذكروا أن " الفتحة والضمة والكسرة زوائد يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به". الكتاب ٣٦٣/٤

(١٠) انظر الأصوات الساكنة وأصوات اللين في كتاب الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس صـ٢٦ - ٢٨

(١١) اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان صـ٢٧١

(١٢) الدلالة الصوتية للدكتور كريم زكي حسام الدين صـ٦٧

(١٣) كتاب سيبويه ٢٠٤/٤

(١٤) مدارج السالكين٥١٢/١

(١٥) انظر سبب نزول سورة الضحى في: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي٤٦٨/١٦، والجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي٣٣٦/١٠

(١٦) حول تعريف المقطع الصوتى وكيفية تقسيم الكلمات انظر: الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس صـ ١٥٩ وما بعدها، ومناهج البحث فى اللغة للدكتور تمام حسان صـ ١٣٨ وما بعدها، وأصوات اللغة للدكتور عبد الرحمن أيوب صـ ١٣٣ وما بعدها، ومدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمى حجازى صـ ٤٦ وما بعدها، وعلم الأصوات للدكتور حسام البهنساوي صـ١٥١.

(١٧) هذا رأي الطبري في معنى (سجى) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٣٣٥

(١٨) قال أهل البديع : إذا قوي الانسجام في النثر، جاءت قراءته موزونة بلا قصد، لقوة انسجامه. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢٦٠/٣

(١٩) مأخوزة من الضيز أي الجور، يقال: ضازه حقه وضامه: أي منعه ونقصه، فهي قسمة جائرة. المعجم الوجيز صـ٣٨٤

(٢٠) هذا قول الرافعي ،انظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية صـ٢٠٢

(٢١) انظر التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٦١٩/١٤

(٢٢) جاء في الإتقان للسيوطي: وخصوا من الابتداء الحسن نوعا منه يسمى براعة الاستهلال: وهو: أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله. الإتقان في علوم القرآن ٣١٧/٣

(٢٣) انظر جهر الأصوات اللثوية والشفوية في: الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس صـ٦٤،٤٥-٦٦

(٢٤) يرى دكتور إبراهيم أنيس أن اللام والراء والنون تشترك في نسبة وضوحها الصوتي، وأنها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع، ولهذا أشبهت من الناحية الصوتية أصوات اللين. الأصوات اللغوية صـ٦٣

(٢٥) فاضل القدماء بين الصوائت اعتمادا على معيار الجهد العضلى المبذول فى النطق أو ما يسمى بالخفة والثقل أثناء النطق، وعدّوا الضمة أثقل الصوائت والفتحة أخفها، يقول الخليل: وأنت تتكلف فى إخراج الضمة إلى تحريك الشفتين مع إخراج الصوت، وفى إخراج الفتحة إلى تحريك وسط الفم مع إخراج الصوت، فما عمل فيه عضوان أثقل مما عمل فيه عضو واحد ويقول إبراهيم أنيس: على أنه حين نتساءل عن أى الصوتين أيسر فى النطق، أو أيهما الذى يحتاج إلى جهد عضلى أكثر، نجد أن الضمة هى التى تحتاج إلى جهد عضلى أكثر؛ لأنها تتكون بتحرك أقصى اللسان، فى حين أن الكسرة تتكون بتحرك أدنى اللسان، وتحرك أدنى اللسان أيسر من تحرك أقصاه. انظر الأشباه والنظائر في النحو١٠/١٧٩، وفى اللهجات العربية صـ ٩٦

(٢٦) يقول الزركشي: وفواصل القرآن منحصرة في أربعة أشياء: التمكين والتوشيح والإيغال والتصدير ، ..... والتمكين هو يمهد قبلها تمهيدا تأتي به الفاصلة متمكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة. البرهان في علوم القرآن صـ٤٥

(٢٧) رُوِي أن قريشا أرسلت عتبة بن ربيعة ليساوم النبي محمدا صلى الله عليه وسلم على أن يَدَعَ أمر الدعوة، مقابل أن يقدموا له ما شاء من مال أو رياسة أو طب وعلاج إن كان في حاجة إلى شيء من ذلك، فذهب عتبة وكلم النبي، ولما انتهى من كلامه قال له النبي: أوقد فرغت؟ قال: نعم، قال النبي فاسمع مني، قال: قل، قال: بسم الله الرحمن الرحيم ، حم (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ(٤) ثم مضى فيها يقرؤها، فلما سمعها عتبة أنصت له، وألقى يديه خلف

ظهره معتمدا عليهما، يستمع منه حتى انتهى، ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن سمع التلاوة: لقد سمعت ما سمعت، فأنت وذاك، ثم عاد إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به، فلما جلس قالوا ما وراءك، قال: سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط، وما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة، قالوا: سحرك بلسانه، قال هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم، انظر الرسالة الشافية لعبد القاهرالجرجاني صـ١٢٤

(٢٨) افتُتِحَت بالأحرف المقطعة سُوَرٌ قرآنية عديدة بلغت ستا وعشرين سورة مكية وثلاثا من أوائل السور المدنية، السور المكية المستهلة بالفواتح، هي على المشهور في ترتيب النزول: القلم (ن)، ق، ص، الأعراف (المص)، يس، مريم (كهيعص)، طه، الشعراء (طسم)، النمل (طس)، القصص(طسم)، يونس وهود ويوسف والحجر(الر)، لقمان(الم)، غافر وفصلت(حم)، الشورى(حم عسق)، الزخرف والدخان والجاثية والأحقاف(حم)، إبراهيم(الر)، السجدة والروم والعنكبوت (الم)، والسور المدنية: البقرة وآل عمران(الم) والرعد (المر). الإعجاز البياني صـ١٤١

(٢٩) يُرجع في ذلك أيضا إلى كتب: الخواطر السوانح في أسرار الفواتح لابن أبي الأصبع ت٦٥٤هـ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي تحت عنوان في أسرار الفواتح والسور، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي تحت عنوان المحكم والمتشابه.

(٣٠) يقول أهل البيان: من البلاغة حسن الابتداء، وهو أن يتأنق في أول الكلام؛ لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محررا أقبل السامع على الكلام ووعاه، وإلا أعرض عنه..... وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأكملها، ..... وخصوا من الابتداء الحسن نوعا منه يسمى براعة الاستهلال، وهو: أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله. الإتقان في علوم القرآن ٣١٧/٣ وانظر الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني صـ٢٤١

(٣١) الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري، تحقيق مفيد قميحة صـ٤٩٦

(٣٢) كل سورة استُهِلَّت بالأحرف المقطعة تلاها ذكر الكتاب أو القرآن أو التنزيل، تلاها ذِكْره مباشرة أو بعد عدة آيات كما في سور: مريم والعنكبوت والروم التي لم يذكر القرآن فيها بعد الأحرف المقطعة مباشرة. انظر الإعجاز البياني للقرآن صـ١٥٩

(٣٣) مثل قوله تعالى في سورة الإسراء: إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا /٣٦، وقوله تعالى في سورة الملك: هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة /٢٣

(٣٤) وتارة أخرى يكون هادرا كما فى سورة القمر، انظر بحثنا بعنوان علاقة الجانب الصوتى فى القرآن بأهداف السور ومقاصدها، المنشور فى مجلة كلية الآداب جامعة جنوب الوادى عدد رقم ٣٩ جزء ثان لسنة ٢٠١٢

(٣٥) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣٤٢/١ وبيان إعجاز القرآن للخطابي صـ٧٠

(٣٦) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤٣٥/٢

(٣٧) انظر بيان إعجاز القرآن للخطابي صـ ٧١

(٣٨) رُوِي أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق ذهبوا إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم ليلا ؛ ليسترقوا السمع وهو يتهجد ويتلو القرآن في بيته، وكان كل واحد منهم يأتي من ناحية على غير موعد ، إلى حيث يستمعون منه وهو يصلى، فأخذ كل منهم مجلسا يستمع فيه، ولا أحد منهم يعلم مكان الآخر، وعندما تفرقوا آخر الليل وجمعهم الطريق تلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة التالية، عاد كل منهم إلى مجلسه، لا يدرى بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون للمصطفى صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر، فتفرقوا، وجمعهم الطريق فتلاوموا وانصرفوا على ألا يعودوا، لكنهم عادوا في الليلة الثالثة وباتوا يستمعون إلى القرآن، ثم راحوا يتخبطون في محمد وقرآنه. انظر البداية والنهاية لابن كثير٦٤/١ والسيرة النبوية لابن هشام ٣٣٧/١-٣٣٨.

(٣٩) رُوِي أن عتبة بن ربيعة أرسلته قريش ليساوم النبي محمدا صلى الله عليه وسلم على أن يَدَعَ أمر الدعوة، مقابل أن يقدموا له ما شاء من مال أو رياسة أو طب

وعلاج إن كان في حاجة إلى شيء من ذلك، لكنْ لَمَّا تلا النبي مطلع سورة فصلت عليه أنصت، ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن سمع التلاوة: لقد سمعت ما سمعت، فأنت وذاك، ثم عاد إلى أصحابه فقال: سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط ، وما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة فقالوا: سحرك بلسانه، قال هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم، كما رُوِي عن الوليد بن عقبة قوله عن القرآن الكريم: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر، قال ذلك بعد سماعه آيات القرآن الكريم. انظر الرسالة الشافية لعبد القاهرالجرجاني صـ١٢٤-١٢٥

(٤٠) كانوا يجلسون في سبيل الناس، لا يمر بهم أحد إلا حذروه من الاجتماع بمحمد صلى الله عليه وسلم أو الاستماع لقرآنه، وكانوا يلاقون القبائل الواردة إلى مكة في المواسم يحذرونها من الإصغاء إليه بالقول المفترى: إن ما جاء به محمد هو السحر الذي يفرق بين المرء وأبيه، والمرء وأخيه، والمرء وزوجه، والمرء وعشيرته. السيرة النبوية لابن هشام ٢٧٠/١

(٤١) بيان إعجاز القرآن صـ٥٥

(٤٢) انظر الحديث عن هذه المعارضة وأمثالها من الكلام السخيف في: بيان إعجاز القرآن للخطابي صـ٦٥-٧٠ وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي صـ١٤٨-١٦٧

(٤٣) استرق الأولى من قوله: ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، في مطلع سورة الفيل واسترق الثانية من قوله: أخرج منها ماءها ومرعاها. سورة النازعات آية٣١، ورغم ذلك خاب في سرقته؛ لأنه استعمل (فَعَل) في مقام الإنعام، وهو لا يستعمل إلا فى العقوبات، انظر بيان إعجاز القرآن للخطابي صـ٦٩

(٤٤) أولهما يخرج من الغار وثانيهما يخرج من الأسنان مع اللثة، وكلاهما صوت رخو مهموس من أصوات الصفير انظر مخارج أصوات العربية في:الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس صـ٤٤-١٠٤

(٤٥) يقول ابن دريد ت٣٢٠هـ : اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت. جمهرة اللغة ٩/١.

(٤٦) راجع شروط الفصاحة الثمانية التى يجب توافرها فى اللفظ كما ذكرها ابن سنان الخفاجى فى سر الفصاحة صـ٥٤–٨٦، وشروط الفصاحة التى ذكرها السيوطى فى المزهر فى علوم اللغة١/١٨٥– ١٨٧.

(٤٧) جمع شُرْسُوف: الطرف اللين من الضلع مما يلي البطن. المعجم الوسيط صـ٤٧٨.